د. محمد بن سرار اليامي

أصول الإيمان

في ضوء الكتاب والسنة







أُصُولُ الإِيمَانِ

فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ



الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م



الكويت - مدينة سعد العبدالله - الدائري السادس - ق3 - م28
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع
(الكويت)
darandalusia@hotmail.com
(+965) 94747176

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

د. محمد بن سرار اليامي

أصول الإيمان

في ضوء الكتاب والسنة

دار الظاهرية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحیم



إهداء

إلـى رحيـب الصـدر، بعيد النظـر، واسـع المعرفة مـن بُهرتُ بـه عند الجلـوس معه..، فأسـرني بفسـيح اطلاعه، وسـديد مقاله، وجميـل خصالـه..، فلزمتُـه زمنًـا ليـس بالقليـل..، حتـى زادت قناعتـي بحسـن اختيـاري، وبتوفيـق اللـه عـز وجـل كان ذلك..

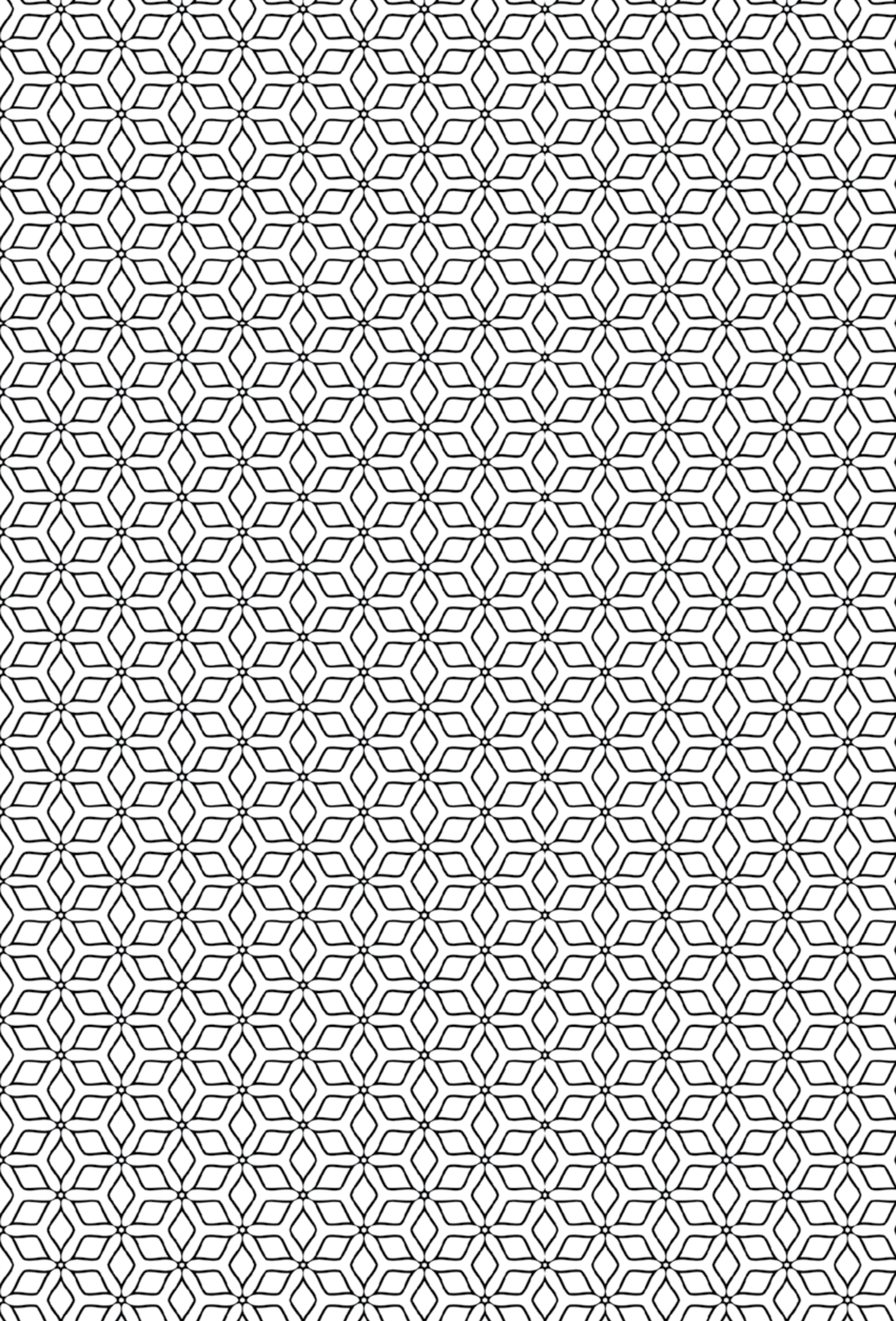
ثـم تفضّـل بشـيء مـن وقتـه الثميـن، علـى تلميـذه المحب، وقاصـد نهـره العـذب، فقـرأت عليـه أصـل هـذه الأوراق..

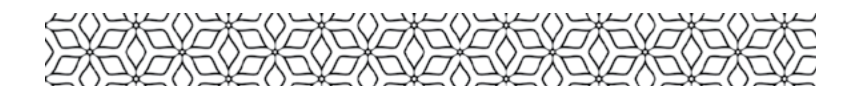
ورأيـت الدعم والتسـديد، والتأييـد، فنِعْمَ المعلـم كان، جزاه اللـه عـن قُصّاد نهـره العذب خيـر ما جـزى عالمًا عـن طلابه..

إلى معالي شيخنا العلّامة:

محمـد بن حسـن بن عبدالرحمـن بن عبداللطيف آل الشـيخ، أهديـك بعضًا منك..







المقدمة

الحمـد للـه وحـده والصـلاة والسـلام علـى من لا نبـي بعده أمـا بعد:

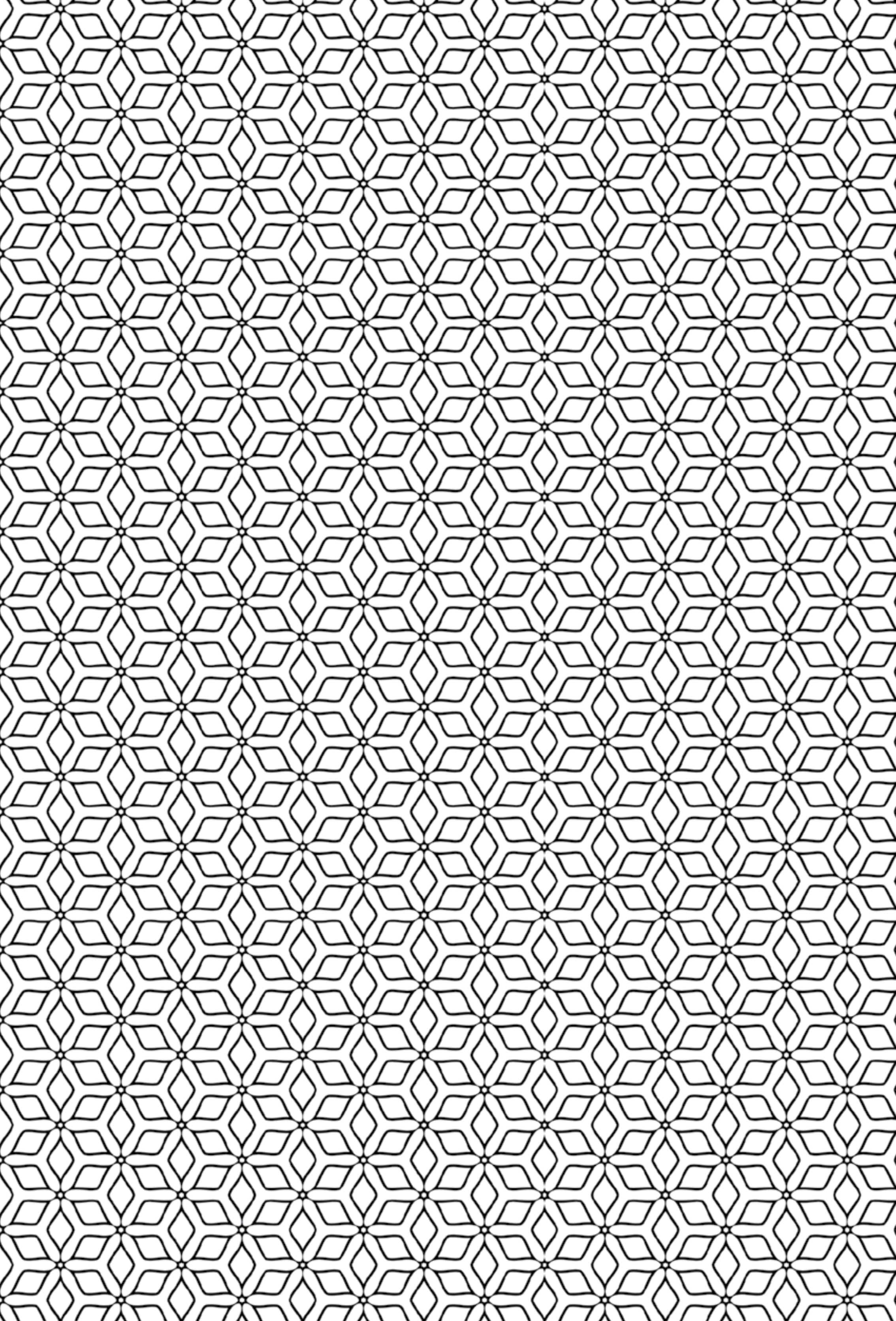
فقـد وفـق اللـه أهـل الحـق للتوسـط فـي الديـن بيـن الفـرق الغاليـة، والجافيـة، فهداهـم لمـا اختلف فيـه من الحـق بإذنه، وهو يهـدي من يشـاء إلى صـراط مسـتقيم.

وهـذه الرسـالة علـى اسـمها تبيـن معتقد أهـل الحـق من آل بيـت النبـي ﷺ والصحابـة والتابعيـن لهـم بإحسـان أدعـو إليها كل ناصـح لنفسـه طالب لنجاتهـا من النـار وغضب الجبـار؛ طامع في مجـاورة النبـي ﷺ وإخوانه مـن النبييـن والمرسـلين، وأتباعهم من المؤمنيـن والمسـلمين فـي جنـات تجري مـن تحتهـا الأنهار.

فهـي دعوة إلى سـلوك الصراط المسـتقيم. فالشـكر لله على توفيقـه والحمـد للـه علـى تيسـيره؛ علمًـا أننـي سـردت فـي هـذه الرسـالة معتقـدي فـي أركان الإيمان بأسـهل عبارة، وأوجز إشـارة قارنًـا بالدليـل ما اسـتطعت.

جعلهـا اللـه فـي ميـزان الصالحـات لنا ولـه ولكل مـن طالع هـذه الأصول الجامعـة، والحمـد للـه أولاً وآخرًا..







رب يَـسِّـر وأعن يا كريم

الديـن الـذي ارتضـاه اللـه لنـا وأكملـه وأتـمَّ علينا بـه النعمة ولا يقبـل دينًـا سـواه: هـو مـا بعـث الله بـه عبـده ورسـوله محمد صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مـن الهدى وديـن الحق، وهو مـا كان عليه النبـي صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وخلفـاؤه الراشـدون وبقية العشـرة المبشـرون بالجنـة وآل النبـي صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وأزواجـه وسـائر أصحابـه رضـي اللـه عن الجميـع، مـن الاعتقـاد، والقول، والعمـل، وهـو الإيمـان باللـه، وملائكتـه وكتبـه، ورسـله، واليوم الآخـر، والإيمـان بالقـدر خيـره وشـره، وشـهادة أن لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وأن محمـدًا رسـول اللـه، وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الـزكاة، وصـوم رمضـان، وحـج بيـت الله الحـرام والتصديق بـكل ما جاء بـه النبي صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ عـن ربه من الأخبـار والإذعان لما اشـتمل عليـه الكتـاب والسُّـنّة من الأحـكام، والانقيـاد بفعـل الأوامر على قـدر الاسـتطاعة، وتـرك النواهـي جملـة، والاسـتغفار والتوبة إلى اللـه تعالـى مـن الذنـب وظلـم النفـس، وظلـم الخلـق والتقصيـر عـن شـكر النعمـة والقيـام بالواجـب، والاجتهاد في الإحسـان في العبـادة، بـأن يعبـد العبـد ربه كأنه يـراه فإن لـم يكن يـراه فيعلم بأن اللـه يراه.

ذلك بأن الله تعالى هدى الصحابة والسلف الصالح ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

فكانوا يعلمون بالكتاب والسُّنّة ويجعلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم أسوة وقدوة.

وكانوا يجمعون بين الإخلاص للمعبود، والاتباع لصاحب الشفاعة، والمقام المحمود ويجتهدون في إحسان العمل ويخافون ويشفقون من الله جل وعز.

فبذلك صاروا أهل الكتاب والسُّنّة. وصاروا خير قرون الأمة، والفائزين بالمغفرة، والرضوان والجنة.

فالصلاح والفلاح في اتباعهم بإحسان، والهلاك والخسران في اتباع غير سبيلهم، كما جاء ذلك في محكم القرآن فقال جَلَّ وَعَلَا مثنيًا عليهم وحاضًا على اتباعهم بإحسان ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

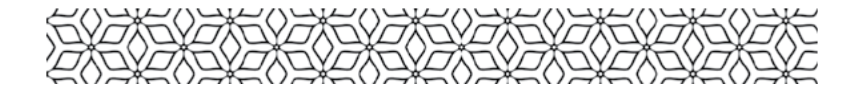
وقال جل وعز مبينًا سوء عاقبة الإعراض عن طريقهم وأنه ينتهي بسالكه إلى النار: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ

وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

فمن اتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاءه وآل بيته وأصحابه على دينهم؛ فهو ناج مرحوم،ومن ابتغى غير سبيل المؤمنين في ذل وضل.

وإلى تفصيل أصول جامعة، وقواعد عامة من أصول اعتقادهم ومنهاجهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ونبدأ بمصطلح العقيدة، وما يدخل تحته من معاني، وأوصاف ونثني بأركان الإيمان، والله المستعان.



العقيدة

أولًا: معنى العقيدة لغة واصطلاحًا:

العقيدة لغة: مصدر من اعتقد يعتقد اعتقادًا وعقيدة، مأخوذ من العقد، وهو: الربط والشدُّ بقوة وإحكام، ونحو ذلك مما فيه توثق وجزم، ولذا يطلق العقد على البيع والعهد والنكاح واليمين ونحوهما من المواثيق العقود لارتباط كل من الطرفين بهذا العقد عرفًا وشرعًا[1]، إلى غير ذلك مما يجب الوفاء به قال جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

والعقيدة في الاصطلاح: هي الإيمان الذي لا يحتمل النقيض[2]، ويلاحظ اقتراب أو تطابق المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة العقيدة.

ثانيًا: صحة العقيدة أو فسادها:

عقيدة المرء هي: إيمانه الجازم الذي ينعقد عليه قلبه ويحكم به ذهنه ويتخذه مذهبًا ودينًا يدين به، بغض النظر عن صحتها وفسادها، ولهذا يفرق بين العقائد، فيقال: هذه عقيدة

(١) ينظر: العين (١/ ١٤٠)، مختار الصحاح (ص: ٢١٤)، المصباح المنير (٢/ ٤٢١).
(٢) المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص ١٣.

صحيحة، نظرًا لقيام الحجة والبرهان على صحتها: كاعتقاد المؤمنين بتفرد الله تعالى فيما يختص به ويجب له، واعتقادهم بطلان تسوية غيره به في شيء من خصائصه وحقوقه.

وما خالف الحق فهو اعتقاد باطل لقيام الدليل على بطلانه: كاعتقاد ضلاّل النصارى أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم، أو أنه ثالث ثلاثة، واعتقاد المشركين أن أصنامهم وأوثانهم آلهة مع الله، ونحو ذلك من الملل المحرّفة والعقائد الباطلة التي لا يحصيها إلا الله جل وعز.

ثالثًا: العقيدة الإسلامية الصحيحة:

العقيدة الإسلامية التي دلت عليها أصول الإسلام الكتاب والسُّنّة وإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هي العقيدة الصحيحة.

وهي: الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء به القُرآن والسُّنّة الصحيحة من: الأخبار والغيوب والأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وسائر ما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله بذلك كله، والعمل له تعالى بمقتضاه، والطاعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاتباع له.

فهي: تصديقٌ بالغيب، وتوحيدٌ وتنزيه للربِّ، وعبادةٌ لله بما شرع، واليقين بلقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجزائه.

رابعًا: ما يدخل في العقيدة الإسلامية:

تشمل العقيدة الإسلامية: وجوب توحيد الله تعالى فيما يجب له، وتنزيهه عما لا يليق به، والقيام بأركان الإسلام وحقائق الإيمان والإحسان، والتصديق بالنبوات، والكتب، وأحوال البرزخ، والآخرة، وسائر أمور الغيب، وتحقيق الولاء والبراء، والقيام بالواجب نحو السلف الصالح وسائر أهل الإسلام، والموقف الشرعي من سائر أهل الملل والبدع ونحوهم من المخالفين.

خامسًا: الفرق بين العقيدة والتوحيد:

أما التوحيد: فهو في اللغة: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا: أفرد الشيء، أي: جعله واحدًا[(١)].

أما في الاصطلاح: للتوحيد اصطلاحاً إطلاق عام وذلك باعتباره فعلاً من أفعال القلوب، وآخر خاص باعتباره عَلَماً على علْم معَّين، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[(٢)].

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص: ٣٢٤)، تاج العروس (٩/ ٢٦٦)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٩).
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه»[١].

فالتوحيد أخص أمور العقيدة؛ لأنه يتعلق بإثبات ما يجب لله جل وعز، ونفي ما لا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والقيام بحقه وفق شرعه ابتغاء وجهه، والبراءة مما خالف ذلك.

وسُمي دين الإسلام توحيدًا لأن مبناه على أن الله جل وعز:

- واحدٌ في ربوبيته وخلقه وملكه وتدبيره، فلا شريك له.
- وواحدٌ في إلهيته وعبادته، فلا ند له.
- وواحد في أسمائه وصفاته وأفعاله، فلا سَمي له ولا مثل له.

فإطلاق التوحيد على العقيدة تغليبًا وتنبيهًا على شرفه من باب تسمية الشيء بأشرف خصائصه؛ لأنه يتعلّق بمعرفة الله جل وعز وفعله وحقه على عباده، وتحقيق ذلك قولًا وفعلًا وقصدًا وبراءة مما يضادّ ذلك ويخلّ به.

سادسًا: حقيقة التوحيد وأهميته:

حقيقته: انجذاب القلب والروح إلى الله جل وعز محبةً وتعظيمًا وخوفًا وإنابةً وخضوعًا، بأن يعمل العبد لله تعالى

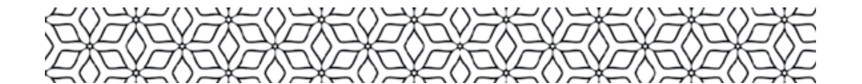
---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤٦).

صالحًا، فيفعل المأمورات ما استطاع، ويترك المنهيات ويتوب إلى الله من السيئات توبةً نصوحًا، رغبةً ورجاءً ورهبةً وخوفًا وطمعًا، وهو مدلول شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ومقتضاها، وأول الواجبات وأهم المهمات، وشرط قبول العمل، وأثقل شيء في الميزان، قال جل وعز: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] الآية، وقال جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] الآية، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية، وقال جل وعز: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] الآية، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحّدوا الله»(١) فدلّت هذه النصوص وغيرها مما جاء في معناها على أن التوحيد حقّ رب العالمين، وأعظم واجب على المكلفين، وأول ما يدخل به الإسلام، وأعظم مكفِّر للآثام.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٥٨)، ومسلم برقم (١٩).



أركان العقيدة والإيمان

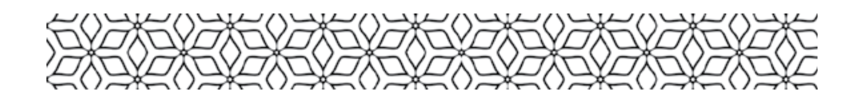
استقر مما سبق أن العقيدة الإسلامية هي: الإيمان الجازم والتصديق التام بالله جل وعز، وما جاء عنه، وما يجب له سبحانه، وتحقيق ذلك نيةً وقصدًا وقولًا وعملًا بمقتضى ذلك، وتركًا لما ينقص كمال الإيمان الواجب أو ينافيه ويضادّه، وقد بَيَّن الله تعالى أصول الإيمان بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وجمعها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إجابته على سؤال جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قال له: ما الإيمان؟ فقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١)، فهذه أركان الإيمان، وأصول العقيدة المجملة.

وفيما يأتي الإشارة إلى جملة من مهمات كل ركن من هذه الأركان الستة على وجه يحصل به المقصود.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).



الإيمان بالله تعالى

تعريف الإيمان لغةً:

١- ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الإيمان في اللغة هو التصديق[١] بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق، فصدقت وآمنت معناها عندهم واحد.

٢- وذهب آخرون إلى أن الإيمان في اللغة هو الإقرار بالشيء عن تصديق به[٢]، بدليل التفريق بين قول القائل: «آمنت بكذا» أي: أقررتُ به، و«صدقّتُ فلانًا».

تعريف الإيمان شرعًا:

الإيمان في اللغة يتضمن معنىً زائدًا على مجرد التصديق وهو الإقرار والاعتراف بالشيء، المستلزم لقبول الخبر والإذعان لحكمه، فهو أمر علمي اعتقادي يترتب عليه عمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، فإن من كذَّب الخبرَ أنكره قلبًا، وردَّه قولًا، وترك العملَ بمقتضاه فعلًا، ومن صدَّق الخبرَ اطمأن إليه قلبًا، وشهد به قولًا، وحقَّق العمل بمقتضاه فعلًا أو تركًا.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٣)، المخصص (٤/ ٥٤)، مختار الصحاح (ص:٢٢)، لسان العرب (١٢/ ٢٩٤).

(٢) ينظر: تاج العروس (٧/ ٢٣٤).

فنعتقد أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان(١).

أولًا: تعريف الإيمان بالله:

هو: التصديق التام، والاعتقاد الجازم بوجوده تعالى، وما يجب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثانيًا: تحقيق الإيمان بالله:

يتحقّق الإيمان بالله تعالى بأمور:

الأول: الإيمان بالله جل وعز متفرد بالخلق والملك والتدبير مطلقًا، فلا شريك له في ذلك، ولا مدبِّر معه، ولا معقِّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، قال جل وعز: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن أسس اعتقادنا أننا نؤمن بالله تعالى ربًا خالقًا مالكًا مدبرًا للملك، بمقتضى علمه وحكمته وقدرته ومشيئته فلا رب غيره، ولا خالق سواه، وهو المتفرد بتدبير الملك، وعلم الغيب، وجلب النفع ودفع الضر.

فلا شريك له في الملك، والتدبير كما أنه لا شريك له في الخلق والتصوير؛ فهو وحده المتفرد بأفعال الربوبية ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) ينظر: لمعة الاعتقاد (ص: ٢٦)، الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٥٩).

وهـذا التوحيد مسـتقر في فِطَـر عامة البشـر، فهم مُقِـرُّون لله تعالى بـه، قال جل وعـز: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقـال جـل وعـز: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونـس: ٣١، ٣٢].

فلـم يجحـد هـذا التوحيـد إلا مكابـر معانـد، قـد تظاهـر بجحـوده مـع اسـتقراره فـي نفسـه، كمـا قـال جـل وعـز عـن آل فرعـون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمـل: ١٤]، فمـن أنكـره فهو مقـر به باطنًـا، وإنما تظاهر بإنـكاره تكبـرًا وعنادًا.

وقـد أكثـر اللـه جل وعـز من ذكـر هـذا التوحيـد فـي القُرآن مقـرًا لأهل الشـرك بـه ومطالبًا لهم بمقتضـاه، وهو وجـوب اعتقاد تفـرده بالإلهيـة وعبادتـه وحـده، فـإن المتفـرد بالخلـق والـرزق والتدبيـر هـو الإله الحـق الذي يجـب أن يُفـرد بالعبـادة، ويخلص لـه الديـن والذي ربـى جميـع الخلـق بالنعم.

الثانـي: إثبـات مـا أثبتـه اللـه تعالـى لنفسـه فـي كتابـه، وفيما صـحَّ عـن نبيـه صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مـن الأسـماء الحسـنى والصفـات العُلـى، على الوجه اللائـق بجلال الله تعالـى وعظمته، مـن غير تحريـف ولا تعطيـل ولا تكييـف ولا تمثيل، بـل على حد

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأثبت الله تعالى لنفسه الأسماء والصفات، ونزَّه نفسه عن مماثلة المخلوقات.

فنؤمن بأن الله تعالى متصف بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، والجمال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، له المثل الأعلى في السماوات والأرض، فلا سميَّ له ولا مثل من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فذاته تعالى أكمل الذوات، وأسماؤه أحسن الأسماء وصفاته أجلُّ الصفات ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

ذلك بأن الله وحده هو الخالق وما سواه مخلوق وأنه هو الرازق وما سواه مرزوق؛ فالواجب إفراد الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالكمال المطلق من جميع الوجوه وبكلِّ اعتبار، وذلك بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها، وتنزيهه سبحانه عن جميع صفات العيب والنقص وما هو من خصائص الخلق تنزيهًا يُراد منه إثبات كمال ضد ذلك في حقه تعالى، قال جل وعز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال جل وعز: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ

﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

• فالواجب نحو نصوص الأسماء والصفات:

١- قبول ألفاظها، والإيمان بها، والتسليم لها، واعتقاد ما دلت عليه من المعاني والأحكام.

٢- حملها على ظاهرها وحقيقتها.

٣- تنزيه الله جل وعز عن مماثلة الخلق فيها وعن صفات النقص والعيب والبراءة من المعطّلة والممثلة.

٤- الثناء على الله جل وعز ودعاؤه بها في كل مقام بما يناسبه، فعند طلب الرزق يسأل الله تعالى بأسماء الغني والجود والكرم، وعند طلب النصر على العدو يسأل الله تعالى بأسماء القوة والقهر والعظمة والعلم، وعند سؤال العفو والمغفرة يسأل الله تعالى بأسماء اللطف والرحمة والحلم والمغفرة والعفو، وهكذا.

الثالث: اعتقاد أن الله تعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة، وحده لا شريك له، فلا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحدٌ سواه، وإفراده تعالى بجميع الطاعات على الوجه الذي شرع، وأن يطاع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ويُتبع، وترك الشرك والبدع.

فنؤمن بأن الله تعالى وحده هو الإله الحق المعبود

بالحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحد سواه.

فلا يُركع ولا يُسجد، ولا يُدعى، ولا يُرجى سواه.

فيجب الإخلاص له وحده في جميع العبادات، والتقرب إليه وحده في جميع الطاعات، وأن لا يُشرك معه أحد من الخلق في الأرض أو السموات ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

فمن العبادات: الصلاة، والنحر، والنذر، والدعاء، وسائر العبادات، فلا يستحقها إلا الله وحده، قال جل وعز: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

فيُفرد الله تعالى بأفعال الربوبية وصفات الإلهية، ويعتقد كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذاته وأسمائه وصفاته من كل وجه وبكل اعتبار، ويُنزّه عن صفات النقص وما هو من خصائص الخلق، وتُخلص له النيات والأقوال والأعمال في سائر الحالات، لاعتقاد المسلم أن الله تعالى ذو الإلوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

فهو الإله الحق المعبود بالحق، الذي لا تنبغي العبادة

إلا لـه، ولا يستحقها أحـدٌ سـواه، وتحقيـق ذلـك بدعائه سـبحانه وحـده، وسـؤاله جميـع الحاجـات، وكمـال التعلّـق بـه والتـوكل عليـه، وغايـة الافتقـار إليـه، والثقة به فـي تحصيل المقصـود ودفع المكـروه وتعاطـي أسـباب ذلـك، وكذلـك تحقيـق طاعتـه تعالـى بامتثـال أوامـره سـبحانه واجتناب نواهيـه على الوجه الذي شـرع، وعلـى الكيفيـة المأثـورة عـن النبـي صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عـن إخـلاص، وبـراءة مـن الشـرك والبـدع ابتغـاء رضـوان اللـه تعالى وثوابـه، وحـذرًا مـن غضبـه وعقابه.



الإيمان بالملائكة

أولًا: تعريف الملائكة:

الملائكة في اللغة: جمع مَلأَك، نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبله ثم حذفت تخفيفًا فصارت ملكًا، وهو مشتق من «الألوكة» التي هي الرسالة، والجمع: ملائك، وملائكة[(١)].

فالمَلَك في اللغة: حامل الأَلوكة وهي الرسالة، فإن الملائكة -عليهم السلام- رسل الله تعالى، يتلقون رسالته وينفذون ما كلفوا به منها، ويبلغون ما حُمِّلوا منها إلى غيرهم، قال جل وعز: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١][(٢)].

والملائكة في الاصطلاح: مخلوقات نورانية عاقلة متكلمة مريدة، أُعطيت قدرةً على التشكل بالصور الحسنة، ومسكنهم السماوات[(٣)].

فالملائكة هم رسل الله جل وعز في تنفيذ أمره الكوني

(١) ينظر: لسان العرب (١/ ٥٣٥)، تاج العروس (٢٧/ ٤٨).
(٢) ينظر المرجعين السابقين.
(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، تفسير الألوسي (١/ ٢٢٠)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

-الذي يوحيه إليهم- في ملكوته، وسفراؤه إلى أنبيائه ورسله من البشر في تبليغ وحيه الشرعي ورسالاته قال جل وعز: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥].

ودليل أن الملائكة مخلوقات نورانية ما ثبت في صحيح مسلم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلقت الملائكة من نور»[(١)]، ودليل تشكُّلهم بالصور الحسنة ما ثبت في القرآن أنهم جاءوا إبراهيم في صورة أضياف كرام كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

وكان جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دحية الكلبي رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه[(٢)]، رجل من الصحابة حسن الخلق وقور الهيئة.

وجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة -كما في الصحيحين- في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من الصحابة أحد[(٣)].

ثانيًا: خصائص الملائكة:

للملائكة عليهم السلام خصائص تميّزهم عن الجن والإنس وسائر المخلوقات:

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (٢٩٩٦).
(٢) رواه النسائي (٤٩٩١).
(٣) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

١- أن مسكنهم السماء، وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله، قال جل وعز: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

٢- أنهم لا يُوصفون بالأنوثة، فقد كذّب الله المشركين على وصفهم لهم بذلك، فقال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢٧].

٣- أنهم يطيعون الله ولا يعصونه، فلا تصدر عنهم الذنوب، قال جل وعز: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٤-دوام العبادة؛ فلا فتور ولا سأم، قال جل وعز: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وقال جل وعز: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

ثالثًا: من صفات الملائكة:

١- موصوفون بالعلم والقوة والشدة: قال جل وعز: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال جل وعز: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، يعني: جبرائيل عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، وقال جل وعز في وصف خزنة جهنم: ﴿عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

٢- موصوف بعظم الخلق: فقد رأى النبيُّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ جبرائيلَ على صورته التي خلقه الله عليها سادًّا عِظم خلقه ما بين السماء والأرض(١)، ورآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ستمائة جناح(٢)، وفي صفة حملة العرش ما بين شحمه أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام(٣).

٣- الحسن والجمال: قال جل وعز في جبرائيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦] فسّرها ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة بالحُسن والجمال في المنظر والخلق والطول، وقالت النسوة صواحب يوسف في جمال يوسف عليه السلام: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، وقد ساق الله جل وعز الكلام مساق التقرير.

٤- أنهم كرام أبرار: قال جل وعز: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦].

٥- الحياء الشديد: ففي صحيح مسلم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عثمان رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦١٢)، ومسلم برقم (١٧٧).
(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٥٦)، ومسلم برقم (١٧٤).
(٣) رواه أبو داود برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١).
(٤) رواه مسلم برقم (٢٤٠١).

رابعًا: دلالة النصوص بشأن الملائكة:

تواترت النصوص من الكتاب والسُّنّة في الخبر عن الملائكة -عليهم السلام- وعما يتعلق بهم، ودلت النصوص بشأنهم على أمور:

الأول: أنهم من أعظم خلق الله شأنًا، وأشدّهم وأقوالهم خلقه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم:٥]، ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[التحريم:٦]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

الثاني: أنه لا يعلم كيفية خلقهم إلا الله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، ولأنهم من عالم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه .

الثالث: أنهم من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله جل وعز، قال جل وعز: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي الصحيح ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السماء السابعة البيت المعمور، وفيه: «يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يرجعون إليه آخر ما عليهم»[1].

الرابع: أن الله تعالى قد تعبّدهم بالقيام بأعمال كبيرة جليلة تدل على عظم شأنهم، وعلو مقامهم عند الله جل وعز.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤).

الخامس: أنهم يقومون بما كلفوا به خير قيام، في غاية من الطاعة والقوة والأمانة وحسن الأداء، ومع ذلك هم في عبادة عظيمة لله تعالى، فهم يصلون له ويسبحونه ويذكرونه ويستغفرونه ويثنون عليه سبحانه بما هو أهله، قال جل وعز: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال جل وعز: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وقال جل وعز: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت:٣٨].

خامسًا: وظائف الملائكة والحكمة من خلقهم:

دلّ الاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة الواردة بشأن الملائكة عليهم السلام بأنهم عباد لله تعالى، يكلفهم من أمره بما يشاء، وتكاد تنحصر وظائفهم وأعمالهم من حيث متعلقها بثلاثة أنواع، هي حِكم خلقهم:

الأول: عبادة الله تعالى بالإيمان به وحده وتمجيده والثناء عليه بما هو أهله، وذكره ودعائه واستغفاره والصلاة له، وهذا وصفهم العام مع ما يكلفون به من مهام، ومنهم من هذا شأنه أبدًا فهم صفوف لا يفترون، ومنهم سجّد لا يرفعون منذ خلقهم الله، وقد وردت أحاديث بهذا المعنى احتج بها أهل العلم، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطّت السماء وحق

لها أن تئط، ما فيها شبر» وفي رواية «أربع أصابع، إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد» وفي رواية: «لا يرفعون رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض» وفي رواية: «لا يرفعونها إلى يوم القيامة»(١).

فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله -جل وعز-، فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

الثاني: تدبير أمر الملكوت -علوية وسفلية وما بينهما- وما فيه من مخلوقات وعوالم غير مكلفة، المنظورة وغير المنظورة بأمر الله تعالى، وذلك من جليل حكم خلقهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فأعمالهم كثيرة ومسئولياتهم كبيرة، وهم مجموعات متنوعة، لكل مجموعة اختصاص:

- فمنهم: المكلفون بحمل العرش وعددهم ثمانية.

- ومنهم: المكلفون بتبليغ الوحي إلى حيث أمر الله جل وعز ورئيس ملائكته جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو أمين على وحي الله، يرسل الله به إلى الأنبياء والرسل.

- ومنهم: خزنة الجنة ورئيسهم رضوان.

- ومنهم: خزنة النار ورئيسهم مالك.

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣١٢)، وابن ماجة برقم (٤١٩٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٣). وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٨٥٢، ١٠٥٩، ١٠٦٠).

- ومنهم: ملائكة الأرواح ورئيسهم إسرافيل.

- ومنهم: ملائكة الأرزاق ورئيسهم ميكائيل.

- ومنهم: المكلفون بحفظ السموات.

- ومنهم: المكلفون بالرياح والسحاب.

- ومنهم: المكلفون بالجبال.

- ومنهم: المكلفون بالنبات.

- ومنهم المكلفون بالبحار.

- ومنهم: المكلفون بأمور الطيور والدواب، ونحوها من الأمم والعوالم التي لا يحصيها إلا الله جل وعز.

الثالث: تدبير أمر بني آدم والصلة والوثيقة بهم في أحوال كثيرة، في حياتهم وبعد مماتهم، وقد جاءت النصوص بإثبات وظائف جماعات من الملائكة -عليهم السلام- على التفصيل كما يلي:

١- حفظ بني آدم، وهو من عمل الملائكة المعقبات.

٢- حفظ أعمال بني آدم، وهو من عمل الكرام الكاتبين.

٣- السياحة لالتماس مجالس الذكر وحلق العلم.

٤- كُتّاب الناس يوم الجُمُعة على أبواب المساجد الأول فالأول.

٥- الصلاة على المصلين مدة انتظارهم لصلاة الجماعة.

٦- فتنة الأموات في القبور.

سادسًا: وجوب الإيمان بالملائكة ومنزلته من الدين:

جاء الإيمان بالملائكة مقرونًا بالإيمان بالله تعالى، فهو أحد أركان الدين الثابتة بالأدلة القطعية اليقينية من الكتاب والسُنة وإجماع السلف الصالح، قال جل وعز: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ**﴾ [البقرة:١٧٧]، وثبت في الصحيحين من غير وجه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إجابة على سؤال جبرائيل له عن الإيمان -: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...إلخ»[(١)]، والأدلة على هذا الركن كثيرة.

فنحن نؤمن بملائكته كلهم، من أخبرنا الله بهم، ومن لم يخبرنا؛ وأنهم عباد مكرمون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون ﴿**وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠**﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

فإنكار الملائكة -عليهم السلام- وجحود وجودهم كفر بنص التنزيل، قال جل وعز: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٦].

(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

والقول بأن الملائكة عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات قول باطل لا سند له من كتاب ولا سُنة، ومع بطلانه فإنه تنقص للملائكة المقربين وهضم لمكانتهم التي أخبر عنها الله جل وعز في الكتاب المبين، فهو تكذيب بكتاب الله تعالى، وردّ لسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإتّباعٌ لغير سبيل المؤمنين، قال جل وعز: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

سابعًا: كيفية الإيمان بالملائكة -عليهم السلام-:

الإيمان بالملائكة هو: الاعتقاد الجازم بوجودهم، والتصديق التام بما جاءت به الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة بشأنهم ووظائفهم وأعمالهم التي يقومون بها طاعةً لله تعالى وعبوديةً له جل وعز.

ويتحقق الإيمان بأمور:

الأول: التصديق بوجودهم ومادة خلقهم، وما جاءت به النصوص من صفتهم والحكمة من خلقهم وشأنهم.

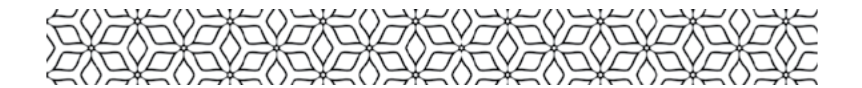
الثاني: الإيمان تفصيلًا بمن علمنا اسمه من طريق الوحي على وجه الخصوص، مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ورضوان، ومالك، ونؤمن إجمالًا بما لم نعلم اسمه منهم.

الثالث: الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم وما دلت عليه النصوص من اختصاصهم -على الوجه الذي ورد- واعتقاد أنهم يقومون بما كلفوا خير قيام وأحسنه.

الرابع: الاعتقاد بأنهم عباد مخلوقون مربوبون ليس لهم من خصائص الإلهية والعبادة شيء، والكفر بعبادة من عبدهم والبراءة منه.

الخامس: التصديق بمقاماتهم العظيمة عند الله تعالى، وما لهم عنده من الكرامة، واعتقاد وجوب موالاتهم ومحبتهم، واعتقاد تفاضلهم في المقامات والمهمات، والحذر من معاداتهم.

السادس: تنزيههم وتبرئتهم مما زعمه المشركون فيهم من أنهم إناث أو بنات الله، أو أنهم يشفعون عند الله بغير إذنه، أو يشفعون لأحد من المشركين به.



الإيمان بالكتب

أولًا: تعريف الكتب:

الكتب لغة: جمع كتاب، والكتاب مصدر: كتب، يكتب، كتابًا، ثم سُمي به المكتوب.

والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، كما قال جل وعز: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء: ١٥٣]، يعني: صحيفة مكتوبًا فيها مثل التوراة.

والمراد بالكتب هنا اصطلاحًا: هي الكتب التي حوت كلام الله تعالى، الذي أوحاه إلى رسله -عليهم الصلاة والسلام-، سواءً ما أنزله عن طريق الملَك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب، أو ما نزل مكتوبًا من عند الله تعالى كالتوراة التي نزلت مكتوبة في الألواح، كتبها الله تعالى بيده.

ثانيًا: وجوب الإيمان بالكتب ومنزلته من الإيمان:

نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله، كصحف إبراهيم والتوراة والزبور، والإنجيل والقُرآن؛ وأن الله أنزلها هداية لعباده متضمنة لشرائع دينه، ويجب على من أنزلت عليهم الإيمان بها، والعمل بما جاء فيها، وترك مخالفتها؛ ولا

يسعهم الخروج عنها.

والإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، فلا يتحقق إيمان عبد حتى يؤمن بها، ولهذا أمر الله تعالى بالإيمان بها، فقال: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[النساء:١٣٦] الآية، فأمر جل وعز عباده المؤمنين بالإيمان والتصديق بجميع شرائع الإيمان وشُعبه وأركانه، فيؤمنوا بالله ورسوله وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والكتاب الذي نزل عليه وهو القُرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب السابقة -والتي منها صحف إبراهيم والألواح التي هي توراة موسى- التي أنزلها الله على المرسلين من قبل، فمن كفر بشيء من ذلك؛ فقد ضل، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾[النساء: ١٣٦]، فالكتاب اسم جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من ربهم، والتي خُتمت بآخرها وهو القُرآن المهيمن على ما قبله من الكتاب.

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بقوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنزل عليهم بواسطة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أنزل على أعيان النبيين المذكورين في الآية، وما أنزل على بقية الرسل في الجملة، وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان، فلا يؤمنون ببعضهم دون بعض، كصنيع الضُّلاّل من أهل الكتاب؛ بل يؤمنون بجميع الرسل، وبكل ما أنزل الله تعالى من الكتب.

ومن السُّنَّة حديث جبريل المشهور، وفيه الإيمان الكتب، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره»[١]. الحديث فذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إجابته الإيمان بالكتب، فدل على وجوب ذلك مع بقية أركان الإيمان، فتقرر أن الإيمان بجميع الكتب ركن من أركان الإيمان بالله جل وعز، لا يصح الإيمان بدونه، ولا يقبل العمل إلا به.

ثالثًا: كيفية الإيمان بالكتب:

هو اعتقاد أن لله تعالى كتبًا أنزلها على رسله هدايةً لعباده، متضمنةً لأصول دينه وقواعد شريعته، وكليات الأخلاق التي يحبها الله سبحانه ويرضاها، ومهمات مما نهى عنه جل ذكره.

وتحقيق الإيمان بالكتب يكون بأمور:

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

١- الإيمـان بما سـمى الله منهـا تفصيلًا: كصحـف إبراهيم، وصحـف موسـى -وهي التـوراة-، والزبور، والإنجيـل، والقُرآن، وإجمـالًا بما لم يسـمه منها.

٢- اعتقـاد أنهـا كلهـا كلام الله تعالـى، تكلم بهـا حقيقة كما شـاء بكيفيـة لا يعلمهـا إلا هـو سـبحانه، وأنها حق وصـدق وهدى لمـن خوطـب بهـا من الأمـم، ومشـتملة علـى الشـرائع التـي تعبّد اللـه المخاطبيـن بها.

٣- اعتقـاد أنهـا كلهـا دعوة إلـى عبـادة الله تعالـى، وتفصيل لحقـه علـى خلقه وحقـوق عبـاده بعضهم علـى بعـض، وفيها نهي لهـم عـن مخالفته، وذكر ثـواب المطيعيـن وعقوبـات العاصين.

٤- اعتقـاد أنهـا يصـدق بعضهـا بعـض، فـلا تناقـض بينهـا ولا تعـارض، فإنهـا سـالمة مـن ذلـك، فـإن وجـد فيهـا مـا يوهـم التعـارض والتناقـض فهـذا جاء من أفهـام بعض النـاس وعقولهم، وليـس مـن جهتها.

٥- أن الحجـة قامـت بهـا علـى المخاطبيـن بهـا، واتضحت لهـم بهـا المَحَجَّـة، وزالـت بها المعـذرة، فيجـب العمـل بها، ولا يحـل لهـم مخالفتهـا، ولا التحاكـم إلـى غيرهـا، ولا تعطيلهـا؛ بل يجـب عليهـم قبولهـا والعمـل بهداها والحـذر مـن مخالفتها.

٦- أن الكتـب الأولـى كانـت موجهـة لأزمنـة محـدودة،

ولطوائف معينة، وأن بعضها ينسخ بعضها، وأن المتأخر منها ينسخ المتقدم من حيث الأحكام.

٧- الاعتقاد الجازم بأن الله جل وعز نسخ جميع الكتب السابقة بالقُرآن العظيم المشتمل على أحسن ما فيها، وجعل الله فيه أحكامًا مناسبة للأمة إلى أن يأتي الله بأمره، وصانه عما في الكتب السابقة من الآصار والأغلال، وما لا يناسب الأمة من أحكام الكتب السابقة، وحفظه من أن تمتد إليه يد التحريف، فأغنى به سبحانه عنها، وجعله حاكمًا ومهيمنًا عليها، فلا يسع أحدًا من أهل الكتب السابقة ولا غيرهم أن يعبد الله تعالى بعد نزول القُرآن بغير ما جاء به، ولا أن يتحاكموا إلى غيره.

ومما نُصَّ عليه من الكتب المنزلة وسُمِّي:

١- **صحف إبراهيم**: وكانت حِكمًا كلها، وفيها عناية بالتوحيد وأصول الملة، والمباينة للشرك وأهله.

٢- **صحف موسى**: وهي التوراة، وإنما سميت صحفًا لأنها نزلت مكتوبة كتبها الله تعالى بيده، وفيها العناية بالأحكام أكثر، وقد بقيت الشريعة العامة لبني إسرائيل حتى نسخت بالقُرآن العظيم.

٣- **الزبور**: وأنزل على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت العناية فيه بالثناء على الله جل وعز، والدعوات والأذكار.

٤- **الإنجيل**: وأنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان من جملة ما اشتمل على العناية بالأخلاق: كالتواضع والصبر والتسامح والصفح وحسن الظن، كما يفهم ذلك مما ورد بشأنه من النصوص.

٥- **القُرآن**: وهو آخرها، والمهيمن عليها، والخاتم لها، وأنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتركيز فيه على جميع ما سبق، ولذا نسخها الله جل وعز وأغنى به عنها.

رابعًا: تحقيق الإيمان بالقُرآن الكريم:

نؤمن بأن القُرآن، نسخ ما قبله من الكتب السماوية، واشتمل على أحسن ما فيها، وزاد عليها، وبرأه الله من الأغلال والآصار، والتكليف بما لا يطاق.

فأغنى به عنها، وأن الله جعله تبيانًا لكل شيء، وهدى للتي هي أقوم، وحفظه من التحريف، والتبديل، وجعله خالدًا إلى آخر الدهر جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وأنه المحفوظ في السطور، والصدور، المبدوء بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، والمختوم بـ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦].

والقُرآن الكريم هو أعظم كتب الله جل وعز المنزلة على رسله، وأبلغ آياته، وأعظم أسباب هدايته، وآخر الكتب المنزلة

على الرسل، ولا ينزل بعده كتاب ينسخه، فهو آية الله إلى آخر الدهر.

ويتحقق الإيمان بالقُرآن بأمور: منها:

١- أنه كلام الله جل وعز حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، ومنزل غير مخلوق.

٢- تلاوته على أحسن وجه يستطاع وتدبره وفهمه والعمل به والدعوة إلى ما فيه على هدى الله وأمره جل وعز، وكما بين نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتقاد أنه بيان الله تعالى لعباده وهدى ورحمة.

٣- اعتقاد عموم دعوته وشمول شريعته التي جاء بها لعموم الثقلين، فلا يسع أحدًا من الجن والإنس إلا الإيمان به، وأن يعبدوا الله بشريعته، قال جل وعز: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال جل وعز: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٤- اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة، فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزوله بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا شريعة إلا ما شرع الله فيه، فالحلال ما أحلّه، والحرام ما حرّمه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي

بيده لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»[١].

٥- سماحة شريعته، وبراءتها من الآصار والأغلال التي كانت على الأمم الماضية.

٦- أن القُرآن هو الكتاب التوحيد الذي تكفّل الله بحفظ لفظه ومعناه من التحريف اللفظي والمعنوي، قال جل وعز: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال جل وعز: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

٧- أنه اشتمل على التحدي به، بل هو الآية العظمى الذي أعجز الله بها الجن والإنس عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، قال جل وعز: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٨- أن الله جل وعز بيَّن في القُرآن كل ما يحتاج الناس إليه في أمر دينهم ودنياهم، ومعاشهم ومعادهم، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْه: «أنزل في هذا القُرآن كل علم، وكل شيء قد بيَّن لنا في القُرآن»[٢].

٩- أن الله جل وعز يسره للذكر والتدبر وهذا من أعظم

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٩).

خصائصه، فلولا أن الله يسره لم يستطع أحد من البشر أن يتكلم بكلام الله، لكن الله يسّره للذكر والعمل، فيسر جمعه، ويسر قراءته، ويسر تفسيره وبيانه، وأَيْضًا يسره تعالى للتلاوة وفهم المعنى للتفكير والتدبر والاتعاظ، قال جل وعز: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

١٠- أنه اشتمل على خلاصة ما في الكتب السابقة من الأحكام والآداب والأخلاق، فقد تضمن أصول الملة وقواعد الشريعة وأمهات الأخلاق وجوامع الآداب.

١١- أنه اشتمل على أخبار جملة من الرسل والأمم الماضية، وتفصيل ذلك بشكل لا نظير له في كتاب سابق، قال جل وعز: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]، وقال جل وعز: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

١٢- أن القُرآن هو آخر الكتب نزولًا، فهو خاتمها، والشاهد عليها، والحاكم عليها، قال جل وعز: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]، وقال جل وعز: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

١٣- أنـه أعظـم آيـات الأنبيـاء والمرسـلين عليهم مـن ربهم أفضـل الصـلاة وأزكـى التسـليم، كمـا ثبـت فـي الصحيحيـن عن النبـي صَلَّـى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قـال: «ما مـن الأنبياء نبـي إلا أُعطي مـا مثله آمنـه عليه البشـر، وإنما كان الـذي أُوتيتُ وحيًـا أوحاه الله إلـيَّ فأرجـو أن أكـون أكثرهم تابعًـا يـوم القيامة»(١).

١٤- أنـه الكتـاب الـذي لا يأتـي بعـده كتـاب ينسـخه، فـلا تبطـل أحكامـه، ولا تتبدل شـريعته، ولا يتـرك العمل بـه حتى يأتي اللـه بأمـره فيرفعـه إليـه كما بـدأ منه.

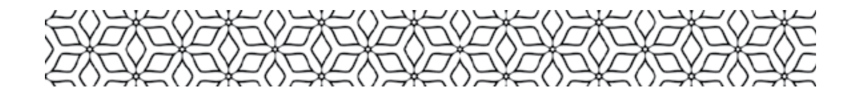
١٥- أن النبـي صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قد بيَّن القُـرآن بأقواله وأفعالـه وتقريراتـه وأحوالـه، وإنـكاره علـى مـن خالـف شـيئًا من القُـرآن بيانًـا قامـت به الحجـة، وحصل بـه التبليغ، حفـظ ذلك من حفظه، ونسـيه من نسـيه.

وعليـه فـإن شـريعة محمـد صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ناسـخة لجميـع الشـرائع السـابقة، مشـتملة علـى أحسـن مـا فيهـا مـن الأحـكام، بريئـة مـن الآصـار، والأغلال التـي كانت علـى من كان قبلنـا، مصلحـة لأحـوال النـاس إلـى آخـر الزمـان؛ لمـا فيهـا مـن الحـكام العادلـة، و الرحمـة الواسـعة الحجـة القاطعـة.

فأغنـى بهـا عمـا كان قبلهـا، فلا خير في الشـرائع السـابقة إلا وفـي شـريعتنا مـا هـو مثلـه، وأفضل منـه، ولا إصـر إلا عافانـا الله

(١) البخاري برقم (٤٥٩٨)، ومسلم برقم (٢١٧).

منه؛ فالحمد لله الذي أتقن ما صنع، وأحكم ما شرع ويسر الأحكام وعظم الأجور، وأكثر من مكفرات الآثام.



الإيمان بالأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين

أولًا: أ- تعريف النبي والرسول:

١- **النبي في اللغة**: مشتق من النبأ، وهو الخبر، قال جل وعز: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

وإنما سُمي النبي نبيًا لأنه منبأ، أي: مُخْبَر من الله جل وعز أي: يُوحي الله إليه نبأ من شرعه، قال جل وعز: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وهو أَيْضًا: مُخبِر عن الله جل وعز بما يوحيه الله إليه من أمره وشرعه، قال جل وعز: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩][(١)].

وقيل: النبي مشتق من النَّبْوَة، وهي: المكان المرتفع من الأرض، فإن العرب تطلق لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يُهتدى بها[(٢)].

والربط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضح، وذلك لأن النبي ذو رفعة عند الله جل وعز في الدنيا والآخرة، وذو شرف

---

(١) ينظر: العين (٨/ ٣٨٢)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣٥٠)، الصحاح تاج اللغة (١/ ٧٤).
(٢) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٤٩)، لسان العرب (١٥/ ٣٠٢).

وسؤدد في قومه، وهو مُنبَّأٌ من الله تعالى بأمره الديني الشرعي الذي يهتدي به العباد ويسعدوا في دنياهم وأخراهم.

٢- **والنبي اصطلاحًا**: هو الذي ينبئه الله تعالى، أي: يوحي إليه أن يعمل بشريعة من قبله، ويبعثه الله إلى قوم مؤمنين بشريعة سابقة، ليبطل ما ابتدعوه، ويصحح ما أخطئوا فيه، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، ويكون قدوة لهم في اتباع الرسول السابق، فهو يحكم بشريعة من قبله، وقد يُوحي إليه وحي خاص في واقعة معينة[١].

فالأنبياء يأتيهم وحي من الله تعالى فيما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين بهم، لكن لا ينزل عليهم كتاب ولا يرسلون إلى قوم كفار مخالفين لأمر الله ليبلغوهم رسالة من الله إليهم، إنما يُرسلون إلى قوم موافقين مخطئين في بعض الأمور.

٣- **الرسول في اللغة**: مأخوذ من البعث وهو الإرسال والتوجيه، فالرسول هو المبعوث الموجه برسالة، قال جل وعز عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٥].

فالرسلُ -عليهم الصلاة والسلام- إنما سُموا رُسلًا لأنهم بُعثوا من قبل الله جل وعز برسالة حملوها وأمروا بتبليغها

(١) ينظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٦٨٨)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

للناس، قال جل وعز: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال جل وعز: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، أي: بعثناهم يتبع بعضهم بعضًا[١].

٤- وأما الرسول في الاصطلاح: فهو الذي ينبئه الله بوحيه الشرعي ثم يوجهه إلى من خالف أمره، أو على قوم لم يأتهم نذير من قبله[٢].

ب- الفرق بين النبي والرسول:

دلَّ التتبُّع والاستقراء لأحوال النبيين والمرسلين -عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم- والنصوص الواردة بشأنهم على اشتراك النبيين والمرسلين في أمور:

١- الوحي: قال جل وعز: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

٢- جنس الإرسال: قال جل وعز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢)، الكليات (ص: ٧٧).
(٢) ينظر: معجم مقاليد العلوم (ص: ٧٤)، معجم لغة الفقهاء (ص: ٤٧٤).

٣- أن الأنبياء -وكذلك بعض الرسل- لا ينزل عليهم كتاب؛ بل يحكمون بكتاب سابق، قال جل وعز: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولكن دلت نصوص أخرى على وجود فرق بين المرسلين والنبيين:

أ- فقد دل قوله جل وعز: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢] على المغايرة بين النبيين والمرسلين؛ لأن العطف في اللغة يدل على المغايرة، أي أن الذي بعد الواو مغاير للذي قبلها.

ب- وكذلك أن الله جل وعز وصف بعض أنبيائه بالنبوة فقط في مواضع أخرى، كما قال جل وعز عن موسى: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١]، وقال عن إسماعيل: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]، وقال عن إدريس: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٦]، وقال عن إسحاق: ﴿نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢].

ج- ومن الفرق بين الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ما يلي:

١- أن النبي يُوحى إليه -غالبًا- بشرع سابق، والرسول -غالبًا- يُوحى إليه بشرع جديد.

٢- أن النبي يُرسل على قوم مؤمنين برسالة سابقة، والرسول يُرسل على قوم لم تبلغهم رسالة من قبله، أو بلغتهم، ولكن كفروا فخالفوا أمر الله جل وعز، ومما يوضح ذلك أن إسحاق وإسماعيل -عليهما السلام- وهما أخوان من ذرية إبراهيم -عليهم الصلاة والسلام -، لكن إسحاق خَلَف أباه إبراهيم في مقر إقامته بالشام فصار نبيًا لأتباع إبراهيم وفي رسالته، وإسماعيل أرسل إلى «جُرْهُم» الذي لم تبلغهم رسالة إبراهيم قبله.

٣- أن الرسول أفضل من النبي بالإجماع، لتميّزه بالرسالة المطلقة التي هي أفضل من النبوة، فإن النبوة رسالة مقيدة.

فاشتركا جميعًا في أن كل منهما منبأ بشرع من الله جل وعز، ومرسل إلى قومه، لكن النبي بُعث إلى قوم لم تبلغهم رسالة، أو بلغتهم وكفروا بها، فمهمة الرسول أعظم وأكبر من مهمة النبي، ولذا كان الرُسل أفضل من الأنبياء، وفي كلٍّ فضل، عليهم الصلاة والسلام، والله أعلم.

ثانيًا: وجوب الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرُسل واجب من واجبات الدين الحتمية، وركن عظيم من أركان الإيمان، وأصل من أصوله المنصوص عليها من القُرآن والسُّنّة، والتي لا يتحقق الإيمان إ بها، قال جل

وعز: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فذكر سبحانه أن الإيمان بالرُسل من جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، وجعل سبحانه الإيمان بالرُسل برًا وصدقًا وتقوى، فقال جل وعز: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وصحّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»[(١)].

فجعل الإيمان بالمرسلين من أركان الدين، ورتب جل وعز على ذلك الأجر والمغفرة والرحمة، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢].

فنؤمن برسل الله الذين أرسلهم إلى أُممهم، من لدن آدم، ونوح إلى عهد محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبشرين، ومنذرين، ودعاة إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وشهداء على الأمم، وأئمة لها في تحقيق عبادة الله جَلَّ وَعَلَا، وترك معصيته، وقد فضل الله جل وعز بعضهم على بعض، فاختص محمدًا صَلَّى اللَّهُ

(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخصائص ليست لغيره؛ كختم النبوة به، وعموم الرسالة، والشفاعة العظمى، والمقام المحمود، واستفتاح باب الجنة.

ثالثًا: خطر تكذيب أحد من الرُسل:

جعل الله سبحانه تكذيب واحد من المُرسلين ضلالًا وتفريقًا بينهم، وتكذيبًا بهم جميعًا، وكفرًا بالله تعالى محققًا، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

رابعًا: كيف يتحقق الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

الإيمان بالأنبياء والمرسلين -عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم- هو الاعتقاد الجازم بنبوتهم ورسالتهم وما جاءت به النصوص بشأنهم.

ويتحقق الإيمان بهم بأمور، منها:

١- اعتقاد أن الله جل وعز اصطفاهم واجتباهم على علم ليكونوا سفراء بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته، قال جل وعز:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال جل وعز: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٢- اعتقاد صدقهم، وتصديق الله تعالى لهم فيما جاءوا به من عنده، وأنهم ما قالوا عليه إلا الحق.

٣- الإيمان بأنهم أشرف الأمم أنسابًا، وأطيبهم أعراقًا، وأزكاهم نفوسًا، وأكرمهم أخلاقًا، وأعظمهم شرفًا وسؤددًا.

٤- أنهم بلّغوا رسالاتهم إلى أُممهم، ولم يكتموا منها شيئًا، ونصحوا لمن أرسلوا إليهم، وبيّنوا ما أرسلوا به بيانًا شافيًا، قامت به عليهم الحجة، واتضحت به المحجة، وزالت به المعذرة، ووجب على الأمم العمل به.

٥- اعتقاد عصمتهم عن الخطأ فيما بلغوا عن ربهم من الدين، وكذلك ما أرشدوا به أُممهم من أمر الدنيا جازمين، وكذلك اعتقاد عصمتهم من كبائر الذنوب، وأما الصغائر فقد تقع منهم لكنهم لا يقرهم الله عليها؛ بل ينبهون بشأنها ويوفقون للمبادرة إلى التوبة منها، بفضل الله ومنته.

٦- اعتقاد فضلهم، وتفضيل الله جل وعز بعضهم على بعض على نحو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، قال جل وعز: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ

ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٧- اعتقاد أنهم أكمل الخلق علمًا وعملًا، وأبرّهم وارحمهم، وأن الله برأهم من كل عيب خِلْقِي وكل خُلُق رذيل.

٨- وجوب الاهتداء بهديهم على أممهم، وكمال التأسّي بهم، وطاعتهم، واتباع من أرسل إلينا منهم وهو النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خامسًا: من خصائص النبي محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

نؤمن بأن محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها علامات جلية امتحن الله بها المدعين ورتب عليها محبته جل وعز، ومغفرته للمتبعين.

فقال جل وعز: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

فمحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تابعة لمحبة الله جَلَّ وَعَلَا، وقد قال المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده والناس أجمعين»(١).

ولا تقوم محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا باتباع ما جاء به عن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْه جل وعز، من الهدى ودين الحق،

(١) رواه البخاري برقم (١٤)، ومسلم برقم (٤٤).

فمن اهتدى بهداه في هذه الدار اهتدى إلى الجنة في دار القرار.

فنقر بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي هو النبي المصطفى، والرسول المجتبى من الله جل وعز، لا نبي بعده، وأنه لم يمت حتى بَيَّن الدين كله، وبلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصائص كثيرة دلت على شرفه وكرامته على ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى أنه خير خلق الله جل وعز وأحبهم إليه، وقد أفرد تلك الخصائص جماعة من مصنفي أئمة أهل العلم في كتب مستقلة، فمن تلك الخصائص:

١ - ختم النبوة به، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين وآخر المرسلين، لقوله جل وعز: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وصحّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «وخُتم بي النبيون»[(١)].

وإذا خُتمت النبوة ختمت الرسالة، فلا يُبعث بعده نبي ولا رسول، لكن جاءت النصوص الثابتة أن عيسى ابن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ينزل في آخر الزمان خليفة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته، وحاكمًا بشريعته، «فيقتل الدجال، ويكسر الصليب،

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٣٣)، ومسلم برقم (٢٢٨٧).

ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام»[١].

٢- أنه سيد المرسلين، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا سيد الناس»[٢]، وفي حديث آخر: «سيد ولد آدم»[٣]، ولصلاة النبيين والمرسلين خلفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى، فقد جمع الله تعالى أرواحهم في مثال أجسادهم وصلوا خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مؤتمين به -عليهم الصلاة والسلام جميعًا-.

٣- أنه لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته وعمومها لجميع الناس، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، ولقد أخذ كل نبي من أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام - على قومه أن إذا بعث فيكم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتؤمنن به ولتتبعنه؛ تحقيقًا لما أخذ الله عليه من الميثاق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

ومن أدلة عموم رسالته قوله جل وعز: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله صَلَّى اللَّهُ

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٢٢)، ومسلم برقم (١٥٥)، (٢٤٢).
(٢) في حديث الشفاعة الطويل، رواه البخاري برقم (٣٣٦١)، ومسلم برقم (١٩٤).
(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨).

عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «وكان النبـي يبعـث إلـى قومـه خاصـة، وبُعثـتُ إلى النـاس عامة»[١].

٤- أنـه صاحـب الشـفاعة العظمـى، فـلا يقضـى بيـن الناس إلا بشـفاعته، وهي الشـفاعة العظمى التـي يتخلى عنهـا أولو العزم من الرسـل حتـى تنتهي إليـه، فيشـفع فيشـفّعه الله، ويأتـي للفصل بيـن عباده.

٥- أنـه أول مـن يسـتفتح بـاب الجنـة فيفتـح لـه، وأول مـن يدخلهـا، لا يدخـل أحـدٌ قبلـه.

٦- أنـه صاحـب لـواء الحمد يحملـه صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يـوم القيامـة، ويكـون الحامـدون تحتـه، لحديـث: «وبيـدي لـواء الحمـد ولا فخـر، ومـا من نبـي يومئـذ، آدم فمـن سـواه، إلا تحت لوائي»[٢].

٧- أنـه صاحـب المقام المحمـود، أي: العمل الـذي يحمده عليـه الخالـق والمخلـوق، وهـذا المقـام هو مـا يحصل مـن مناقبه يـوم القيامة. واللـه أعلم.

٨- هـو صاحب الوسـيلة، وهـي المنزلة العالية فـي الجنة، لا تنبغـي إلا لعبـد، قـال صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «وأرجـو أن أكون أنا

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم برقم (٥٢١).
(٢) رواه الترمذي برقم (٣٦١٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢٨١).

هـو، فمن سـأل الله لي الوسـيلة حَلَّت له الشـفاعة يـوم القيامة»[١].

سادسًا: من أدلة صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام-:

نؤمـن برسـل اللـه الذين أرسـلهم إلـى أُممهم، من لـدن آدم، ونـوح إلى عهد محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مبشـرين، ومنذريـن، ودعـاة إلـى الله جَلَّ وَعَلَا، وشـهداء علـى الأمم، وأئمة لهـا فـي تحقيق عبـادة اللـه جَلَّ وَعَـلَا، وتـرك معصيتـه، وقد فضل اللـه جـل وعـز بعضهـم على بعـض، فاختـص محمـدًا صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بخصائـص ليسـت لغيـره؛ كختـم النبـوة بـه، وعموم الرسـالة، والشـفاعة العظمـى، والمقـام المحمود، واسـتفتاح باب الجنة.

واتخـذ اللـه إبراهيـم خليـلًا، وكلـم موسـى تكليمًـا، وخلق عيسـى بكلمتـه وخصـه بخصائـص ليسـت لغيـره ممـن كان قبله.

وإن هنـاك أولـي عـزم مـن الرسـل هـم: نـوح، وإبراهيـم، وعيسـى، وموسـى، ومحمـد صلـوات اللـه وسـلامه عليهـم.

فهؤلاء السادة الكرام أولو العزم من الرسل.

ثـم للمرسـلين والنبييـن سـواهم خصائـص وفضائـل لكنهـا دون أولـي العـزم من الرسـل، وكل ذلك دليل علـى فضلهم عليهم الصـلاة والسـلام، وعلـو مقامهـم عنـد الملـك القدوس السـلام،

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٨٤).

وأن الله اصطفاهم على علم واجتباهم وغفر لهم من ذنوبهم ما تأخر وما تقدم كما قال جل وعز: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الأمم، اجتباهم الله لرسالاته؛ والرسل أفضل الأنبياء، وأولو العزم منهم أفضل المرسلين، وأفضل أولو العزم الخليلان، وأفضلهما محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخصوص بالقُرآن.

ومن الإيمان برسل الله -عليهم الصلاة والسلام-: اعتقاد أنهم صادقون فيما جاءوا به من ربهم، مصدوقون فيما أوحي إليهم، مصدقون من الله جل وعز على صدق دعوتهم، ولذلك دلائل كثيرة عرفها العقلاء من قومهم وممن جاء من بعدهم، ومن ذلك:

١- شهادة الله جل وعز لهم بالصدق والصديقية، وكفى بالله شهيدًا ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٣]، ووصف سبحانه عددًا من رسله بالصديقية بقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١، ٥٦]، أي: كامل التصديق فيما جاءه من ربه، والصدق في دعوته لقومه.

٢- تأييد الله لهم على دعواهم الرسالة بالحجج الشرعية والآيات الكونية، كالكتب المنزلة عليهم، والآيات التي جاءوا

بها، مثل سفينة نوح -عليهم السلام-، ومثل تحدي هود -عليه السلام- وهو واحد لقومه وهم جماعة كثير متجبرون شديدةٌ خِلقَتهم وقوتهم، فلم يبالي بهم ولم يصبه منهم أذى، وكذلك عصا موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- التي كانت آية بينه، لها شأن ومواقف عظيمة مع السحرة، وفي ضرب البحر فانفتح اثني عشر طريقًا، وضرب بها الحجر فانفجر اثنتي عشرة عينًا، وكذلك ما جاء به عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الآيات العظيمة، حيث كان يبرئ الأصم والأخرس والأعمى والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله تعالى إلى غير ذلك، وكذلك انشقاق القمر لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقُرآن العظيم الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعظم آيات الأنبياء والمرسلين التي تحدَّوا بها أُممهم، وظهر به صدق نبوتهم.

٣- ما أخذ الله به المكذبين للرسل - عليهم الصلاة والسلام - من ألوان العقوبات التي جعلتهم للمعتبرين من أبلغ العظات.

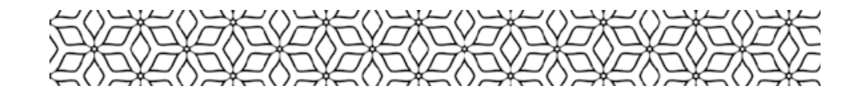
٤- أنهم أحسن الناس طريقة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم وقارًا، وأبعدهم عن الطيش، وأزهدهم في المال والجاه، وأصبرهم على البلايا والشدائد، وأعدلهم حكمًا، فما جاروا في حكم على عدو، ولا شهدوا بغير الحق لصديق.

٥- معاداتهم لقراباتهم وأرحامهم المخالفين لهم من أجل

ربهم، فآثروا الحق على الخلق، فتركوا مناهج الآباء وما عليه العشيرة فوقعوا من أجل ذلك في المخوف، وصبروا على الحتوف.

٦- إجماع مواليهم وعقلاء أعدائهم على أن الرسل والأنبياء - عليهم السلام - كانوا أعقل الناس، وأوقر الخلق، حتى اعترف عقلاء الكفار بحسن تدبيرهم وسدادهم، وأنهم جاءوا بشرائع حكمية استمالوا بها خلائق ودانت لهم بها عوالم.

٧- تحقق أغراضهم وأهدافهم بالنصر والعواقب الحسنة، فإن الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وهكذا لهم أحسن العواقب وأكرم الجزاء في الآخرة، قال جل وعز: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال جل وعز في حق نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٤، ٥].



الإيمان باليوم الآخر

ونؤمن بأن ختام حياة كل شخص في هذه الدنيا معالجة النزع، ومعاناة سكرات الموت، ومفارقة الروح الجسد وهو الموت قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وقال المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن للموت سكرات اللهم أعني على سكرات الموت» وقالت فاطمة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا: وقد رأت ما يعانيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة الموت، وكربته: وا كرب أبتاه؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس على أبيكِ كرب بعد اليوم»(١).

فتضمن ذلك إقراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسكرات الموت، وشدته، وذلك هو المطلع الذي يجعله الله جَلَّ وَعَلَا تكفيرًا لخطيئات المؤمنين، ورفعة لدرجات المحتسبين، وأجرًا عظيمًا للصابرين.

أولًا: تعريف اليوم الآخر:

اليوم الآخر هو: يوم القيامة، يوم البعث والقيام لرب العالمين، سُمي اليوم الآخر لأنه يأتي بعد هذه الدنيا، ويسمى

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٦٢).

يوم القيامة لقيام الناس فيه لرب العالمين، وله أسماء عديدة، كل اسم يدل على حدث فيه أو حال من أحوال الناس فيه، وكلها تدل على عظمة شأنه وخطورة إنكاره والكفر به، وفيها تذكير بأهواله وتنبيه على الاستعداد له.

ثانيًا: منزلة الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان، وغالبًا يذكر هو الخامس منها، وقد دلّت النصوص على فلاح من آمن به وعمل له -مخلصًا لله تعالى بما شرع-، وعلى كفر من أنكره وجحده، قال جل وعز: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال جل وعز: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ثالثًا: كيفية الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بمجيئه وما يكون فيه والحكمة منه على النحو الوارد في الكتاب والسنة، فيتضمن الإيمان باليوم الآخر أمورًا لا يتحقق الإيمان به إلا بالتصديق بها واعتقادها والعمل بمقتضاها، وهي:

١- كيفية مجيء الملائكة إلى من حضره الموت، وكيفية قبض روحه، وأين يذهب بها بعد ذلك.

٢- السؤال في القبر -أو فتنة القبر-، وما جاء في صفته ونتيجته التي تترتب عليه، فيكون عليها مستقبل الميت.

٣- حال الميت في القبر ومدة لبثه فيه، وعلاقته روحه بجسده، وما جاءت به النصوص من نعيم المُثَبَّتِّين وعذاب المُضَلِّين.

٤- أشراط الساعة وعلاماتها الكبار والصغار.

٥- البعث، وهو إحياء الموتى بالنفخ في الصور، فتعاد الأبدان، وتنفخ فيها أرواحها، وتنشق عنها القبور، ويقوم الناس لرب العالمين.

٦- الحشر، وهو جمع الناس في موقف القيامة في موقف واحد، وصفته وحال الناس فيه.

٧- الحساب، وهو العرض على الله تعالى، وتقرير المؤمنين، ومناقشة الكافرين كل بعمله.

٨- الكتب وصحف الأعمال وكيفية أخذ الناس لها.

٩- الموازين وصفتها ونتيجتها.

١٠- الحوض وصفته، وصفة الورود عليه، ومن يطرد عنه .

١١- الصراط وصفته، وحال مرور الناس عليه.

١٢- الشفاعة وأنواعها.

١٣- الإيمـان بالجنـة والنـار، ومـا جاء مـن صفتهمـا وحال أهلهمـا فيهمـا، وأنهمـا المـآل الأبـدي للجـن والإنس.

رابعًا: الحكمة من مجيء اليوم الآخر:

لمجـيء اليـوم الآخـر حكـم تضمنـت الإشـارة إليهـا بعض الآيـات المحكمـات كقولـه جـل وعـز: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]، وقـال جـل وعـز: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ: ٤] إلـى قولـه تعالـى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، ويمكـن إجمـال تلـك الحكـم بالآتـي:

١- إثبـات صـدق مـا أخبرت بـه الرسـل -عليهم السـلام-، ونطقـت بـه الكتـب مـن أمـره وما يكـون فيه.

٢- بيـان تصديـق أهـل العلـم والإيمـان الذيـن صدقـوا بـه وعملـوا لـه ودعـوا إليـه علـى منهـاج النبييـن والمرسـلين.

٣- ظهـور كـذب الكفـار فيمـا أنكـروه وأعرضـوا عنـه، وخسـارتهم فيـه.

٤- الحكم بين الخلق بالحق، وأداء الحقوق إلى أهلها.

٥- جـزاء المحسـنين بالإحسـان، والمسـيئين بمـا عملـوا،

فاقتضت حكمة الله جل وعز أن يجعل للخلق معادًا يبعثون فيه، ثم يردون إليه ليجازيهم على ما كلّفهم به على ألسنة رُسله، وما أنزل إليهم من كتبه، قال جل وعز: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

خامسًا: أحوال البرزخ:

ونؤمن بأن هناك حياة برزخية للميت في قبره، فقبره إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

ونظرًا لاتفاق أهل القبلة على الإيمان بجملة أشراط الساعة، ووفرة المصنفات من أهل العلم فيها قديمًا وحديثًا، فسأترك الإشارة إلى هذه الأشراط، وأشير إلى ما بعد الموت من نعيم القبر وعذابه، وذلك:

١- لوجود من أنكر ذلك.

٢- ولمسيس الحاجة إلى تذكير المسلمين به.

٣- ولأن القبر أول منازل الآخرة، فإن الإيمان بما ثبت في النصوص من أحوال الناس في البرزخ بعد الموت إلى قيام الساعة من تحقيق الإيمان باليوم الآخر.

أ- حقيقة الموت:

إن الموت أشد مصيبة تصيب الإنسان في نفسه، كما قال

جل وعز: ﴿فَأَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة: ١٠٦].

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو يعاني سكرات الموت: «اللهم إني احتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها قط»[١].

وأما الكافر المرتاب فيكون كرب الموت وشدة النزع وهول المطلع نموذجًا لما ينتظره من العذاب الأليم في دار الجحيم، نسأل الله حسن الختام، ومغفرة الذنوب والآثام، والنجاة من النار، والفوز بالجنة دار السلام.

والموت هو مفارقة روح ابن آدم لجسده إذا استكمل أجله بأي سبب قدّره الله جل وعز، ومفارقة الروح للجسد ليس فناءً للروح، ولكنه انفصالٌ لها عن البدن بأمر الله تعالى، وليس انفصالًا نهائيًا؛ بل لها به نوع اتصال الله أعلم بكيفيته وحقيقته، وتكون أمور البرزخ على الروح أصلًا والبدن تابع لها، حتى ولو تلاشى واضمحل وصار رفاتًا أو ترابًا، أو تلف بحرقه أو نحوه وذري في الهواء ولم يبق له بقية فإن الروح تبقى وهي التي تتعرض للعذاب أو النعيم ويصل البدن حظه من ذلك بقدر الله تعالى، فإن الله جل وعز على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وقد قال جل وعز: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق: ٤].

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٤٠).

ب- الفتنة في القبر:

ونؤمن بأهوال القبور، وأحوال البرزخ على ما جاءت به النصوص الدالة عليه، كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الميت: «يمتحن في قبره بعد أن ينصرف الناس عنه، ويُقعد ويُسأل من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟».

فأما المؤمن فيثبته الله، ويقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيقال: كيف عرفت ذلك؟

فيقول: قرأت القُرآن، وعملت بما فيه.

فيقال: نم قد علمنا إن كنت لمؤقنًا، فيفسخ له في قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، ويأتيه من روحها وريحانها، ونعيمها.

فيقول: ربِّ أقم الساعة، مشوقًا إلى مقعده في الجنة.

وأما الكافر أو المرتاب فيقول: هاه.. هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

فيقال: لا دريت ولا تليت؛ فيضرب بمرزبة من حديد فيصرخ صرخة يسمعها من يليه، إلا الثقلان، ولو سمعوها لفزعوا ويفتح له باب إلى النار؛ ويأتيه من سمومها وعذابها.

فيقـول: ربـي لا تقـم السـاعة. لعلمه أن مـا بعدها أشـد عذابًا وأعظـم نكالًا.

ثم يبقى أهل القبور في قبورهم إلى قيام الساعة.

المؤمن منعم، والمرتاب الكافر معذب[١].

فيجـب الإيمـان بمـا دلّت عليـه الأحاديـث من أمـر الملكين الفتّانيـن الموكلين بسـؤال الميت فـي القبر، وصفتهما وسـؤالهما، وكيفيـة ذلـك، ومـا يجيب بـه المؤمـن وما يجيـب به المنافـق، وما يعقـب ذلـك مـن النعيـم والعـذاب، علـى التفصيـل الـذي جاءت بـه الأحاديـث، ومـن ذلـك مـا روي: «إذا قُبـر الميـت -أو قـال: أحدكـم- أتـاه مَلَكَان أسـودان أزرقـان يقـال لأحدهمـا: منكـر، ولآخـر: نكيـر...» إلخ[٢].

وقـد دلَّـت النصوص الـواردة فـي إثبات نعيـم القبـر وعذابه علـى الفتنـة فيه قبـل ذلك، وهي السـؤال للميـت: «من ربـك، وما دينـك، ومـن نبيك» علـى أصل الفتنـة، فيثبـت الله من يشـاء، وهو الـذي ينعـم فـي قبـره، ويضـل مـن يشـاء، وهـو الـذي يعـذب في القبـر إلـى ما شـاء الله.

(١) أصل الحديث رواه مسلم برقم (٢٨٧١)، ورواه بتمامه أبو داود برقم (٤٧٥٣)، وأحمد برقم (١٨٥٣٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٠٧١)، وابن حبان برقم (٧٨٠). قال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه ابن حبان.

ج- نعيم القبر وعذابه:

اتفق أهل الحق على ما دلّت عليه النصوص من أن نعيم القبر وعذابه حق، وأنه يكون للروح والبدن جميعًا، وهو مترتب على فتنة القبر والسؤال فيه، فمن ثبّته الله نُعِّم، ومن ضلَّ عُذِّب. فنعيم الروح أو عذابها:

يكون متصلًا بالبدن «تارة» فيكون النعيم أو العذاب عليهما جميعًا.

كما أنه قد يكون النعيم أو العذاب للروح منفصلة عن الجسد، فيكون النعيم أو العذاب للروح وحدها تارة أخرى، ولها مع الجسد تارة أخرى، بحالٍ يعلمه الله جل وعز.

د- أدلة نعيم القبر وعذابه:

١- فمن أدلة القُرآن على نعيم القبر وعذابه، قوله جل وعز: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [الواقعة:٨٨، ٨٩].

٢- ومن الأدلة قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدِ اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى عَذَابِ

الْقَبْرِ فِي الْبَرْزَخِ»[(١)]. وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ. احتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾»[(٢)].

٣- ومن الأدلة كذلك على عذاب القبر، قوله تعالى عن الكفار: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]. قال مجاهد: أي: بالجوع وعذاب القبر[(٣)]، قال: ثم يردون إلى عذاب عظيم يوم القيامة، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها البخاري رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة الأحاديث في عذاب القبر»[(٤)].

٤- ومن الأدلة حديث البراء، وفيه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المؤمن: «فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره...»[(٥)] الحديث.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).
(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٨).
(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٢).
(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩٨).
(٥) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧ - ٢٩٥، ٢٩٦)، وأبو داود برقم (٤٧٥٣)، والنسائي برقم (٢٠٥٨) مختصرًا، وابن ماجة برقم (٤٢٦٩) مختصرًا، وصححه الحاكم (١/ ٣٧، ٤٠). وحسّنه الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة (٥/ ٤١٧).

٥- ومن الأدلة ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[(١)].

٦- وكذلك ما ثبت في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن أنس رضي الله عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم عذاب القبر»[(٢)].

٧- وما في الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في صاحبي القبرين: «إنهما ليُعذبان»[(٣)].

٨- وكذلك ما جاء أن عامّة عذاب القبر من البول[(٤)]، يعني: من الاستهانة به، وعدم التنزّه والتحفظ منه.

٩- وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوّذ من عذاب القبر[(٥)].

١٠- وقد أجمع المسلمون على إثبات عذاب القبر

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٦٦). عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٦٨).
(٣) رواه البخاري برقم (٢١٦)، ومسلم برقم (٢٦٢).
(٤) رواه الطحاوي في مشكل الآثار برقم (٥١٩٤)، والطبراني في الكبير برقم (١١١٠٤)، والدارقطني في سننه برقم (٤٦٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٦٥٤).
(٥) رواه البخاري برقم (٦٣٦٦)، ومسلم برقم (٥٨٦) (١٢٦).

ونعيمه، ولم ينكره إلا من لا فقه له ولا أثر لخلافه.

فقد أنكر الملاحدة والفلاسفة ومن اتبعهم ومن أهل الكلام عذاب القبر بدعوى عدم مشاهدته في الدنيا، ويُردّ عليهم بما يلي:

الأول: دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف عليه.

الثاني: أن أحوال الآخرة لا تُقاس بأحوال الدنيا.

الثالث: وجود أشياء في الدنيا لا تُشاهد مثل: العقل والروح والكهرباء، فكل هذه يقرّ العقلاء بوجودها ويؤمنون بأثرها مع أنهم لم يشاهدوها على هيئتها، فما أخبر الله تعالى به من أمور الغيب في البرزخ والآخرة وفوق السماوات أولى أن يُصدق به ويقرّ بوجوده، ولو لم يشاهد، ذلك بأن الله هو الحق المبين.

سادسًا: ذكر مهمات مما يكون في اليوم الآخر:

الأول: البعث:

١- تعريف البعث:

البعث لغة: التحريك والإثارة والنشر والإرسال[١].

واصطلاحًا: هو إخراج الناس أحياءً من قبورهم، وإرسالهم

---

(١) ينظر: العين (٢/ ١١٢)، تهذيب اللغة (٢/ ٢٠١)، الصحاح تاج اللغة (١/ ٢٧٣).

إلى موقف الحشر، لحسابهم والقضاء بينهم وجزائهم[١].

٢- حكمته ومنزلته:

يجب الإيمان «وهو التصديق والاعتقاد الجازم» بأن الله جل وعز يبعث الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة، على الصفة التي جاءت بها النصوص؛ ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بعمله، أو يعفو عنه.

والإيمان بالبعث والجزاء من أعظم أصول الإيمان، فإن الله تعالى يجمع «بقدرته» ما تفرق من أجساد الأموات التي تحللت، ثم يعيدها كما كانت، ثم يعيد الأرواح إليها، ثم يشق الأرض عنها، يسوقها إلى المحشر للقضاء بينهم بالحق وجزائهم على أعمالهم.

٣- من الأدلة على البعث:

ولقد أقام الله تعالى الحجج والبراهين على صحة البعث وتحقّيق وقوعه من وجوه متعددة، فمن أدلته:

أ- قول الله جل وعز: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

---

(١) ينظر: الكليات (ص: ٢٤٤)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١/ ١٧٠)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

ب- ومن السُّنّة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم»(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُبعث كل عبد على ما مات عليه»(٢).

ج- ومما استدل الله به على قدرته على بعث الأموات بعد موتهم:

إحياء الأرض بالمطر بعد موتها.

إحياء بعض الأموات في الدنيا كإحياء قتيل بني إسرائيل بعد ضربه بعظم من بقرة أُمروا بذبحها لذلك، وإحياء الذي مرَّ على قرية بعد موتها، وإحياء أهل الكهف، وتلك الأمثلة مذكورة في القُرآن.

أن الذي ابتدأ الخلق على غير مثال سبق قادر على إعادته، فإن الإعادة أهون من الابتداء، والكل على الله هيِّن.

فدلّت النصوص على أن الله جل وعز يعيد الأجساد نفسها فيجمع رفاتها المتحلّل ويخلقها في أماكنها في القبور أو في أي مكان كانت حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها إذا تم خلقها، فسبحان من لا يُعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٨٢).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٧٨).

٤- بيان كيفية البعث:

وفي بيان كيفية البعث جاء حديث؛ أخرجه الشيخان أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما بين النفختين أربعون». قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيتُ. قال: «ثم ينزل الله ماءً فينبتون منه كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب «آخر عمود الظهر» ومنه يركّب الخلق يوم القيامة»[1].

فدلّ الحديث على كيفية البعث، وأن أهل القبور والموتى يبقون بعد النفخة التي فيها الصعقة وقبل نفخة البعث أربعين، جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة، والنفختان هما:

١- نفخة الفزع والصعق، وهي التي تكون بها إماتة الأحياء وخراب هذا العالم.

٢- نفخة البعث من القبور وإرسالهم إلى موقف الحشر.

فإذا أراد الله بعث الخلائق أنزل من السماء ماءً -جاء في بعض الروايات صفته أنه كمني الرجال- فينبت أهل القبور من ذلك الماء، فإذا تم خلقهم نفخ في الصور النفخة الثانية، فطارت أراحهم إلى أجسادهم، وانشقت الأرض عنهم، فخرجوا من قبورهم سراعًا: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم برقم (٢٩٥٥).

يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٧، ٨].

فأول يوم القيامة النفخ في الصور نفخة الفزع والصعق، ثم نفخة البعث التي تعود فيها الأرواح إلى الأجساد فتحيا، ثم تُحشر الخلائق إلى رب العباد، والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ(١).

وعن أبي سعيد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن صاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ»(٢).

وقد جاء في صحيح مسلم عن يوم الجُمُعة أن فيه تقوم الساعة(٣).

وفي سُنن النسائي عن أوس بن أوس الثقفي مرفوعًا: «إن أفضل أيامكم يوم الجُمُعة فيه الصعقة، وفيه النفخة الثانية»(٤).

عدد مرات النفخ في الصور:

النفخ في الصور مرتان:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٧)، والترمذي برقم (٢٤٣١)، (٣٢٣٨)، وابن ماجة برقم (٤٢٧٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٧٩): حسن لغيره، وصححه الأرناؤوط في شرح السُّنَّة (١٥/ ١٠٣).

(٣) رواه مسلم برقم (٨٥٤) (١٨).

(٤) رواه أبو داود برقم (١٠٤٧)، والنسائي برقم (١٣٧٣) بنحوه، وابن ماجة برقم (١٠٨٥) ورقم (١٦٣٦) بنحوه. والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٣٠)، والمشكاة رقم (١٣٦١) والتوسل ص ٦٣، وصحيح الجامع رقم (٣٨٩٥).

الأولى: تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق لجميع الخلق إلا من شاء الله جل وعز.

الثانية: نفخة البعث فتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، ويدل على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

٢- وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا في حديث الطويل، وفيه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، ثم لا يبقى أحدٌ إلا صُعق، ثم يُنزل اللهُ مطرًا كأنه الطل أو الظل -شك الراوي- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[١].

الثاني: الحشر:

ويحشرون إلى موقف الحشر؛ فيجمعون في صعيد واحد يسمعهم الداعي؛ وينفذهم البصر؛ ويصيبهم من الكرب، والهول ما لا يطيقون، ولا يحتملون.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (٢٩٤٠).

١- تعريف الحشر:

الحشر لغةً: الجمع[١].

وشرعًا: جمع الخلائق بعد إحيائهم في موقف الجمع يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم[٢].

٢- من الأدلة على الحشر:

(١) قوله جل وعز: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

(٢) وقوله جل وعز: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

(٣) وقوله جل وعز: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

(٤) وجاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في موقف واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وأنهم يصيبهم في ذلك الموقف من الأهوال ما لا يطيقون ولا يحتملون، حتى يسعى بعضهم في طلب الشفاعة ليخلصوا من هول ذلك الموقف

---

(١) مجمل اللغة (ص: ٢٣٦)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢١٣)، المصباح المنير (١/ ١٣٦).

(٢) ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ٢٥)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٦٧٥)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

لشـدّته عليهم»[١].

(٥) فـي الصحيـح أن النبـي صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قال: «يا أيهـا النـاس إنكـم لمحشـورون حُفـاة غُـرلًا، ثم قـرأ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وأول من يُكسـى إبراهيـم عَلَيْهِ السَّـلَامُ»[٢].

(٦) وقـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «يُحشـر النـاس يوم القيامة عراة غـرلًا بُهْمًا»[٣]، أي ليس معهم شـيء.

(٧) وقـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «يُحشـر النـاس يوم القيامة علـى أرض بيضاء عفـراء كقرصة نقي»[٤].

الثالث: الحساب:

١- تعريف الحساب:

الحسـاب لغـة: العـدّ والإحصاء[٥]، خفـف الله عنـا وعنكم، وعن كل مسـلم ومسـلمة، ووالدينـا أجمعين.

وشـرعًا هـو: إطـلاع الله تعالـى عبـاده علـى أعمالهـم قبـل

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري برقم (٣٣٦١)، ومسلم برقم (١٩٤).
(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٢٦)، ومسلم برقم (٢٨٦٠).
(٣) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥).
(٤) رواه البخاري برقم (٦٥٢١)، ومسلم برقم (٢٧٩٠).
(٥) تهذيب اللغة (٤/ ١٩١)، لسان العرب (١/ ٣١١).

الانصراف من المحشر خيرًا كانت أو شرًا[1]. قال جل وعز: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال جل وعز: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال جل وعز: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٢- الأدلة على الحساب:

الحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والإيمان به أصل من أصول الإيمان:

أ- فمن القُرآن:

قوله جل وعز: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وقوله جل وعز: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٩].

ب- ومن السُّنَّة:

ما جاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا»، فقالت عائشة: ما

(١) ينظر: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية (٢/ ٢٣٢).

الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في الكتابة فيتجاوز عنه»[١].

ج- وأجمع المسلمون على ثبوته يوم القيامة:

والحساب عام للجميع إلا من استثناهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وفيه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُمَّته: «ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب». فقام عكاشة ابن محصن رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه فقال: أُدع اللهَ أن يجعلني منهم. فقال: «أنت منهم»[٢].

وروى أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن أبي أمامة الباهلي: «إن مع كل ألف سبعون ألفًا»[٣].

٣- صفة الحساب ونشر الكتاب:

دلت النصوص الواردة في الحساب على: «أن الله يخلو بعبده المؤمن فيقرّره بذنوبه -أو بعمله- حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى له: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته»[٤].

قلت: وفي هذا الحديث أن الحساب قبل أخذ الكتاب،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤).
(٢) رواه البخاري برقم (٥٧٠٤)، ومسلم برقم (٢٢٠) (٣٧٤).
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٨)، والترمذي برقم (٢٤٣٧).
(٤) رواه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

فالكتاب توثيق للحساب لإظهار الفضل والعدل من رب الأرباب، فيقرر بالحساب، ثم يدفع إليه الكتاب ليقرأه فيباهي به أو يتحسر عليه.

وأما الكافرون والمنافقون -نعوذ بالله من حالهم ومآلهم- فينادي بهم على رؤوس الأشهاد: ألا لعنة الله على الظالمين.

وأول من يحاسب من الأمم هذه الأمة، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «نحن آخر الأمم وأول من يُحاسب..»[2].

وأول ما يُحاسب به العبد من حقوق الله جل وعز الصلاة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة... »[3] إلخ. رواه الطبراني وإسناده لا بأس به.

قال المنذري في الترغيب والترهيب: وأول ما يقضى بين الناس -يعني: من حقوق بعضهم على بعض- في الدماء، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أول ما يقضى بين الناس يوم

(١) رواه البخاري برقم (٨٩٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) و (٨٥٦).
(٢) رواه ابن ماجه برقم (٤٢٩٠).
(٣) رواه الترمذي برقم (٤١٣)، والنسائي (١/ ٢٣٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٧٢، ٧٧، ٣٧٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٣). وصححه الأرناؤوط في جامع الأصول رقم (٧٩٦٤).

القيامة فـي الدمـاء»[1].

٤- كيفية أخذ صحف الأعمال:

ينصـرف النـاس إلـى أخـذ صحـف الأعمـال؛ فآخـذ كتابـه بيمينـه، وآخذ كتابه بشـماله ومـن وراء ظهـره: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٥].

وبعـد الحسـاب تنشـر الدواويـن، أي: تفتـح وتبسـط، قـال جـل وعـز: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

فآخـذٌ كتابـه بيمينـه، وآخـذٌ كتابـه بشـماله مـن وراء ظهـره، لقولـه جـل وعـز: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]، ويقـول خاسـئًا حسـيرًا: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦]، وقـال جـل وعـز: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسـراء: ١٣، ١٤]، فـكل قـد تحـدد مصيره.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٢)، ومسلم برقم (١٦٧٨).

الرابع: الميزان:

توزن الأعمال، وقد توزن السجلات وقد يوزن العُمَّال ثم بعد ذلك ينصرفون فأما الكفرة والمشركون في كل أمة فتمثل لهم معبوداتهم التي عبدوها من دون الله كهيئتها يوم عبدوها، ويقال: لتتبع كل أمة من كانت تعبد؛ فتنصرف بهم معبوداتهم ويتبعونها؛ فيتساقطون في النار قال جل وعز: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

فالميزان أمرٌ حقيقي، له كفتان توزن به أعمال العباد، ولا يعلم كيفيته إلا الله تعالى، قال جل وعز: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال جل وعز: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨،٩].

فتوزن الأعمال لحديث: «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله، والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض»[١].

وقد تُوزن صحف الأعمال لحديث البطاقة.

وقد يُوزن العامل، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتعجبون من دقة ساقية؟ لهما في الميزان أثقل من أُحُد»[٢]،

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٣).
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٢٠، ٤٢١).

وحديث: «يُؤتي بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة»(١).

فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن تساوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف بين الجنة والنار، يُؤجل أمره حتى يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، ثم تدركه الشفاعة فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق النار، إلا أن يشفع فيه الشفعاء، أو يعفو الله عنه بفضله.

الخامس: الورود على الحوض:

أجمع أهل الحق على أن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضًا في عرصات يوم القيامة، يرد عليه من أجابه واتبعه من أمته، وقد جاء وصفه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل»(٢).

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حوضي مسيرة

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٢٩)، ومسلم برقم (٢٧٨٥).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٠٠).

شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من ريح المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدًا»[١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليردنّ عليَّ الحوض أقوام فيُختلجون دوني، فأقول: أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٢].

السادس: الصراط:

المؤمنون حقيقة، أو ظاهرًا ينصب لهم الصراط بين ظهراني جهنم؛ ويؤمرون بجوازه، وأول من يجوزه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته تتبعه ثم الرسل عليهم الصلاة والسلام كل رسول سابق أمته في الجواز، ثم أممهم بعدهم كل حسب عمله، ونوره قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨].

فناج مخدوش وناج مُسِلَّم، ومكردس في نار جهنم، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم.. سلم[٣].

وقد دلت النصوص من الكتاب والسُّنّة وإجماع سلف الأمة على أن الصراط -وهو الجسر- المنصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، وعليه كلاليب

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٩٣)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).
(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٧٦)، (٦٥٨٢)، ومسلم برقم (٢٢٩٧)، (٢٣٠٤).
(٣) الحديث رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣).

تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة، ومن خطفته تلك الكلاليب دخل النار، فيمر الناس عليه على حسب أعمالهم، فإذا عبروا عليه وُقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقضى لبعضهم من بعض، فإذا هُذّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة.

سابعًا: أمر الشفاعة وأنواعها:

يسعى ذوو الجاه بطلب الشفاعة للتخليص من موقف الحشر؛ فيطلبونها من أولي العزم من الرسل، من نوح عليه السلام، ومن بعده منهم، والكل يتخلى عنها لعلمه أنها ليست له .

حتى تنتهي إلى النبي محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «أنا لها.. أنا لها»[١]، فيستشفع فيهم، ويشفع ويأتي الله جَلَّ وَعَلَا على ما يليق بجلاله لفصل القضاء؛ فيفصل بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

١- تعريف الشفاعة:

الشفاعة لغة: من الضم؛ لأن الشافع ينضم إلى المشفوع له في تحصيل مطلوبه[٢].

(١) رواه البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٣).
(٢) تاج العروس (٢١/ ٢٨٧)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٢١٦).

واصطلاحًا: هي سؤال الخير للغير(١).

وهي في يوم القيامة: السؤال في التخليص من موقف القيامة وأهواله، والسؤال في التجاوز عن الذنوب ومحو السيئات، والنجاة من النار ودخول الجنة، والتخفيف من العذاب، ونيل الثواب وزيادته، ورفعة الدرجات.

أ- دلت الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة على ثبوت الشفاعة يوم القيامة بأنواعها، الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو العامة، له ولغيره من الشافعين من خيار عباد الله، ومنها الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة، والشفاعة في دخول الجنة، وفي الجنة في رفعة الدرجة وزيادة الثواب على ما جاءت به الآيات والأحاديث.

ب- الشفاعة المثبتة لا تنال إلا بإذنه تعالى، وأما ما نفي من الشفاعة فهو ما كان لمشرك أو كافر، أو كان بغير إذن من الله جل وعز، فلا تنال إلا بعد الإذن والرضا من الله تعالى.

٢- أنواع الشفاعة:

ثم تحل الشفاعة فيمن دخل النار، فيناشد المؤمنون ربهم في قراباتهم وذويهم من أهل لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ؛ فيشفعون فيهم كرامة من الله للشافع، ورحمة منه للمشفوع له، وتتكرر هذه

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٤)، حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ص: ٩١).

الشفاعة مرارًا حتى لا يبقى في النار من في قلبه أدنى.. أدنى.. أدنى مثقال ذرة من إيمان، ويخرج الله أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط بغير شفاعة من شافعين بل برحمة أرحم الراحمين سبحانه، لكن بعد أن طهروا ونقوا من ذنوبهم[١].

حتى لا يبقى في النار إلا من كان خصمه القُرآن.

فيشفع الله من يشاء من خاصة أوليائه، فيمن شاء من عباده إكرامًا من الله للشافع ورحمه منه بالمشفوع له.

ونعتقد أن أعظم الناس شفاعة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إخوانه المرسلون، والنبيون عليهم الصلاة والسلام، ثم الصديقون، والعلماء العاملون، والشهداء والصالحون.

وهي أنواع:

الأولى: الشفاعة العظمى في أهل الموقف: وهي خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشفع لهم ليقضي الله بينهم ويتخلصوا من هول الموقف، وهي من المقام المحمود الذي أُعطيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثانية: الشفاعة في قوم استوجبوا النار أن لا يدخلوها: وهذه عامة، وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أوفر حظ ونصيب، ولإخوانه من المرسلين والنبيين والشهداء والصالحين

---

(١) الحديث رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣).

نصيب منها، وتكون قبل الورود على الصراط كما يفهم من الأدلة.

الثالثة: الشفاعة في قوم دخلوا النار من عصاة أهل القبلة أن يخرجوا منها: وهذه تكون بعد مجاوزة الصراط، وهي أَيْضًا عامة في الشافعين، للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أكبر حظ وأوفر نصيب، ويشركه فيها إخوانه المرسلون والنبيون والصديقون والصالحون فيمن شاء الله من عباده.

الرابعة: الشفاعة في دخول الجنة: وهذه خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه أول من يستفتح باب الجنة فيُفتح له، ثم يدخل هو وأمته والمرسلون وأممهم بعده -عليهم الصلاة والسلام- جميعًا.

الخامسة: الشفاعة داخل الجنة في رفعة الدرجات وزيادة الثواب: بحيث يُعطى المشفوع له فوق ما يستحقه أو يرفع إلى درجة الشافع فيه، وهي كذلك عامة للمرسلين والنبيين والشهداء وصالحي المؤمنين، وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الشفاعة النصيب الأوفر.

السادسة: الشفاعة في أهل الأعراف: وهو جبل مشرف بين الجنة والنار، يوقف عليه أهل الأعراف، وهم قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم ترجح حسناتهم فيدخلون الجنة،

ولم تُرجح سيئاتهم فيستوجبوا النار، فيشفع لهم في ترجيح حسناتهم على سيئاتهم فيدخلوا الجنة، وهي عامة في المرسلين والنبيين والشهداء والصالحين، وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها النصيب الأوفر، وهذه تكون بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار بمدة الله أعلم بها.

السابعة: الشفاعة في أبي طالب خاصة من الكفار: وهي كذلك خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشفع في تخفيف العذاب عنه، حيث يخرجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دركات النار إلى ضحضاح منها[1]، أي: يسير لا يجاوز كعبيه يغلي منه دماغه، وهو أهون الكفرة عذابًا، ولا يخرج من النار؛ لأنه مات على الشرك، والله تعالى قال عن المشركين: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال جل وعز: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

ثامنًا: الجنة والنار:

ونؤمن بأن النار منزلة قبل الجنة، فلا يدخل الجنة إلا من جاوز النار، ونجي منها يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] يعني النار أجارنا الله وإياكم وأعاذنا ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

(١) الحديث أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣)، ومسلم برقم (٢٠٩).

ونؤمن أن أول من يستفتح باب الجنة نبي الله محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُفتح له لا لغيره وأول من يدخل الجنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم المرسلون والنبيون، ثم تتبع كل أمة نبيها في دخول الجنة، فإذا دخلوا الجنة، ونزلوا منازلهم؛ وأخذوا أخذاتهم، شفع بعضهم في بعض؛ فيشفع الأعلى في حبيبه، وصديقه ليرفع إلى منزلته ويعطى فوق ما يستحق إكرامًا من الله جَلَّ وَعَلَا للشافعين؛ وفضلًا ومنةً وإحسانًا على المشفوع لهم من المؤمنين.

فيستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

فالمؤمنون فيما اشتهت أنفسهم خالدون، والكافرون في جهنم خالدون، ويقال لأهل كل دار: خلود فلا موت، فيزداد المؤمنون فرحًا، ويزداد الكافرون حسرة، وترحًا.

ونؤمن أن أعظم ما يتنعم به المؤمنون... اللهج بذكر الله جَلَّ وَعَلَا فيلهمون التسبيح، والذكر كما يلهم الأحياء في هذه الدنيا النفس قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠].

ونعتقد أن أعظم ما تلذ به أعينهم النظر إلى وجه الله الكريم، وهو الحسنى والزيادة والمزيد قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال جَلَّ وَعَلَا:

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣].

ونعتقد كذلك أن أعظم ما يعذب به الكفار في دار القرار الحجاب عن الله، وتصلية النار قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦].

ونؤمن بأن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان معدتان لأهلهما الآن قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التغابن: ٩] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال عن النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [النساء:٥٦]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

ومن الإيمان باليوم الآخر: الاعتقاد الجازم والتصديق التام بالجنة والنار، فأهل الحق يعتقدون:

أ- أن الجنة والنار موجودتان معدّتان لأهلهما ولا تفنيان، فالجنة دار كرامة الله أعدها لأوليائه المقربين والأبرار، والنار دار عذابه أعدّها دار هوان لأعدائه المشركين والمنافقين والكفار.

ب- وأن أهلهما لا يموتون كما جاء النص فيه، يقال لأهل كل منهما: خلود ولا موت، وكما قال سبحانه عن أهل كل منهما: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وأخبر أنهم منها لا

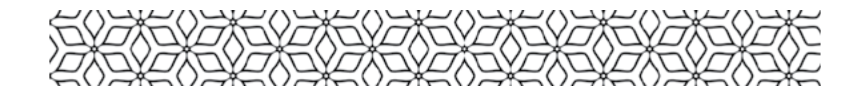
يخرجون، ولكن قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال جل وعز عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وفي حديث الكسوف في الصحيحين: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الجنة حتى كاد أن يتناول عنقودًا منها أو قطفًا، ورأى النار فلم يرَ منظرًا قط أفظع منها. وفي رواية: «فلم أرَ كاليوم في الخير والشر»[1].

ج- وأن أهل الجنة في نعيم أبدي متجدد، قال جل وعز: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]، وقال جل وعز: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وقال جل وعز في نعيمهم: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وأن أهل النار في عذاب أبدي سرمدي دائم، قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

(١) رواه البخاري برقم (١٠٥٢)، ومسلم برقم (٩٠٧).



الإيمان بالقدر

نؤمن بالقدر كله، حلوه، ومره، خيره، وشره، وهو سر الله جَلَّ وَعَلَا في خلقه، وتدبيره لملكوته وعباده بمقتضى علمه، وحكمته، ولطفه، ورحمته بمن يشاء، وعدله وحكمته فيمن يشاء: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

أولًا: تعريف القدر:

القدر لغة: مصدر قدّرت الشيء أقْدُره قدرًا، أي: أحطتُ بمقداره، فهو الإحاطة بمقادير الأمور[١].

وشرعًا: هو علم الله جل وعز بالأشياء وكتابته لها قبل كونها، على ما هي عليه، ووجودها على ما سبق به علمه وكتابته بمشيئته وخلقه[٢].

ثانيًا: مراتب القدر:

يتضح من تعريف القدر شرعًا أن له أربع درجات:

الأولى: سبق علم الله المحيط بكل شيء: فعلم سبحانه كل شيء وأجل كل حي، وعلم الخير والشر، وقدّر النفع

(١) ينظر: العين (٥/ ١١٢)، مقاييس اللغة (٥/ ٦٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٣٠٠).
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، البيان لأركان الإيمان للشيخ عبد الله القصير.

والضر، علم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال جل وعز: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الثانية: كتابته لهذا العلم في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض: قال جل وعز: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وفي الحديث: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

وفي صحيح مسلم: «كان ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»(٢).

وفي هاتين الدرجتين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠].

الثالثة: المشيئة: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال جل وعز: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وقال جل وعز: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فما شاء الله من شيء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون

(١) رواه أبو داود برقم (٤٧٠٠).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٥٣).

في ملك الله حل وعز إلا ما شاء، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:٢٨، ٢٩]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»(١).

وما يشاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كونًا فإنه:

أ- قد يكون محبوبًا له مرضيًا لكونه موافقًا لشرعه، ومن ذلك طاعة المطيعين قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر: ٧]، وقال المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»(٢).

ب- قد يكون مكروهًا له سبحانه غير مرضي، وذلك كمعصية العاصين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخبرًا عن ربه: «ويكره قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسراء: ٣٧، ٣٨].

فما وافق الشرع فقد اجتمعت فيه الإرادتان:

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٢) رواه مسلم برقم (١٧١٥)، وأحمد برقم (٨٧٩٩)، واللفظ له.

الكونية القدرية التي بمعنى المشيئة العامة.

والدينية الشرعية، التي بمعنى المحبة فهو محبوب لله جل وعز من جهتين هما:

١- موافقته للقدر.

٢- موافقته للشرع، فيثاب المطيع على قصده، واختياره، وسعيه لامتثال أمر الله جل وعز.

وما خالف الشرع فقد انفردت فيه الإرادة الكونية، وتخلفت عنه الإرادة الشرعية؛ فهو مما أراده الله من جهة موافقته للقدر، ومن حكمه ذلك الابتلاء، ليميز الشاكر من الكافر، ومكروه من جهة مخالفته للشرع، وهو الذي يكون الإنسان عرضة للعقاب عليه لأنه حين قصده، وخالف الشرع مختارًا لا علم له بالقدر فلا حجة له على معصيته، فعقابه على قصده، واختياره، وسعيه فيما يخالف الشرع، وهذا كسبه الذي يرتهن به.

الرابعة: الخلق: وهي أنه تعالى خلق كل شيء، فلا يوجد شيء إلا بمشيئته وخلقه، وهو خالق أفعال العباد خيرها وشرها، قال جل وعز: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦].

فإن الله جَلَّ وَعَلَا خالق كل شيء، وهو الخلاق العليم؛ فلا خالق غيره كما لا رب سواه قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال جَلَّ وَعَلَا:

﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ثالثًا: القدر والقضاء:

يُقال: في الإسلام والإيمان، والبر والتقوى: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي: إذا اجتمعا في نص واحد كحديث سؤال جبرائيل عليه السلام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام والإيمان فسر الإسلام بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالاعتقادات والنيات والأعمال القلبية الباطنة، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فسر بمعناه ومعنى الآخر جميعًا .

فهكذا القدر والقضاء إذا ذكرا جميعًا فسر القدر بسبق علم الله جل وعز بالشيء وكتابته له، وفُسر القضاء بمشيئة الله تعالى للشيء وإيجاده في وقته على الكيفية التي أراد وعلى وفق ما سبق به علمه وجرى به قلمه، فيكون القدر إحاطة علم الله بالشيء سابقًا، والقضاء تنفيذ الشيء والفراغ منه لاحقًا.

وإذا ذكر أحدهما في النص وحده فسر بمعناه ومعنى الآخر جميعًا، فيفترقان في المعنى عند الاجتماع، ويتفقان عند الافتراق.

رابعًا: كيفية الإيمان بالقدر ومنزلته:

الإيمان بالقدر هو: التصديق التام والاعتقاد الجازم:

١- بعلم الله القديم بالأشياء قبل كونها على ما هي عليه، وأنه تعالى علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقد أحاط الله تعالى بكلِّ علمًا، وعلمه غير مسبوق بجهل، ولا يعرض له نسيان، قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

٢- والإيمان بأن هذا العلم مكتوب في اللوح المحفوظ، فإن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى خلق القلم فأمره بكتابة المقادير إلى يوم القيامة فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وكان ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة[1]، قال جل وعز: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣]، أي: مكتوب مسطور في كتاب.

٣- والاعتقاد الجازم بأنه لا يكون في ملكه تعالى شيء من إيجاد أو عدم أو حركة أو سكون، ولا فعل ولا ترك، ولا طاعة أو معصية إلا بمشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، مالك الملك ومدبره بمشيئته وحكمته، لا مالك غيره، ولا ربَّ سواه.

---

(١) منها: ما رواه مسلم برقم (٢٦٥٣)، والترمذي برقم (٢١٥٦)، وأحمد برقم (٦٥٧٩).

٤- التصديق التام بأن الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره، فهو خالق العباد وأعمالهم خيرها وشرها، قال جل وعز: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال جل وعز: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

٥- والعلم بأن ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه؛ فالإيمان بالقدر من أصول الاعتقاد، التي دلّ عليها القُرآن، قال جل وعز: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال جل وعز: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وقال جل وعز: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢].

دلّت عليها السُّنَّة الصحيحة، فمن ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله.... » الحديث، وفي آخره: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

وأجمع عليه الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان، فقد ثبت عن عدد من الصحابة الذين أدركوا طائفة القدرية الضال -نفاة العلم- وردوا بدعتهم بالدلائل من الكتاب والسنة، وأخبروهم أن العبد لا يذوق طعم الإيمان ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا ولا ينجو من النار حتى يؤمن بالقدر خيره

(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

وشـره، وتبـرؤوا ممـن أنكـر القـدر أو تكلّـم فيـه بخلاف الشـرع.

خامسًا: القدر والتوحيد:

صـحّ عـن علـي رَضِـيَ ٱللَّـهُ عَنْهُ أنـه قال: القـدر سـر الله في الخلـق[١]، وعـن الإمـام أحمـد رَحِمَـهُ اللـهُ أنـه قـال: القـدر قدرة الله[٢].

فالقـدر سـر الله فـي الخلق وتدبيـره الملك، وهـو دليل على قـدرة اللـه تعالـى وعلمـه وحكمـه وقوتـه ولطفـه، فمـن لا يؤمـن بربوبيـة اللـه وأسـمائه وصفاتـه فإنـه لا يؤمن بالقـدر حقًا.

فـإن القـدر مـن متعلقات توحيـد الربوبيـة، فمن آمـن بربوبية اللـه آمـن بقضائـه وقـدره وسـلّم له فـي حكمـه، فإنـه تعالـى يدبر خلقـه وعبـاده كيـف شـاء، لا يُسـأل عما يفعـل وهم يُسـألون.

والإيمـان بالقـدر والتسـليم للـه تعالـى عنـد المصائـب، والشـكر لـه عنـد النعـم، والتوبـة إليـه عنـد المعاصـي، والإخـلاص لـه فـي العبـادة نيـةً وقصـدًا وعمـلًا، والصبـر علـى ذلـك؛ مـن تحقيـق توحيـد الإلوهيـة والعبـادة.

وكل أفعالـه سـبحانه وتعالـى مـن العطـاء والمنـع والخفض والرفـع والابتـلاء والعافيـة والإعـزاز والإذلال، وكل ذلـك مـن معالـم وآثـار توحيـد الله فـي أسـمائه وصفاتـه وأفعاله جـل وعز.

---

(١) الشريعة للآجري (٢/ ٨٤٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٥٤)، شفاء العليل (ص: ٢٨).

سادسًا: الإيمان بالقدر يقتضي العمل:

لا يتم الإيمان بالقدر حتى يعلم العبد ويعتقد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه، لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، جفت الأقلام، وطويت الصحف.

فمن أسمائه سبحانه «الحكيم»، ومعناه: الحَكَم ذو الحكمة الذي يُحكِم الأمور ويتقنها ويضعها مواضعها اللائقة بها.

وهو «القدير» الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع منه شيء؛ بل إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، وخلق كل شيء فقدّره تقديرًا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

فإذا تقرّر ذلك فإن الله تعالى بعلمه وقدرته ومشيئته وخلقه وقوته قد جعل للمسببات أسبابًا تُنال بها، وللقاصد طرقًا ووسائل تحصل بها، وقرر هذا في الفطر السليمة، ودلّ عليه العقول الصحيحة، وقرّر ذلك في الشرائع والرسالات، ونفّذه في الواقع وجعله مدركًا من خلقه في الواقع والمشاهدات، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، ثم هداه لما خلقه له من أصناف السعي والحركة والتصرفات المتنوعة، وبنى أمور الدنيا

والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الشاهد لله سبحانه بكمال العلم والحكمة والقدرة والقوة، وأشهد العباد أنه بهذا التنظيم الدقيق والتصرف الحكيم والتيسير البيِّن وجه العالمين إلى أعمالهم، ونشطهم إلى أشغالهم، ليحرصوا على ما ينفعهم، ويباشروا من الأسباب الشرعية والمباحة ما أمكنهم، مستعينين بربهم، متوكلين عليه في تحصيل مقصودهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له»[١]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابتك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[٢].

فعلى العباد أن يعملوا جهدهم ويباشروا ما تيسر لهم من أسباب ويتكلوا على ربهم، فإن حصل لهم ما يحبون مما لا يخالف شرعه شكروا الله جل وعز، وإن أصابتهم مصيبة سلّموا له وحمدوه وصبروا، وإن أذنبوا تابوا إلى ربهم واستغفروه، فتكون كل أمورهم لهم خير فيما يحبون وما يكرهون، يشكرون عند حصول المحابّ، ويصبرون عند المصائب، ويتوبون ويستغفرون من المعائب.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٢)، ومسلم برقم (٢٦٤٧).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

سابعًا: وجه كون الله تعالى خالقًا لأعمال العباد:

دلّت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على أن الله تعالى خالق العباد، وخالق أعمالهم، فإنه الخالق وحده لا خالق غيره ولا رب سواه، قال جل وعز: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، أي: أن الله تعالى خلقكم فأحسن خلقكم وكمله، ومن ذلك أنه جعلكم مريدين للأعمال، أي مختارين قادرين على ما شئتم منها، فخلق فيكم الإرادات والقُدَر التي تقع بها أعمالكم، وجعلكم مختارين: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وبهذا كان سبحانه خالقًا لأعمال العباد، أي: إنه خلق الأسباب التي تقع بواسطتها الأعمال، وهي الإرادات والقدر، فإن كل عمل من فعل أو ترك لابد لتحقّقه من إرادة يتم بها اختياره وقصد مباشرته، وقدرة يتحقق بها فعله، وهذا محل الثواب والعقاب، فإنما يُثاب المرء على إرادته الخير، وفعله ما استطاع منه، ويعاقب على قصده الشر ومباشرته له، وذلك كسبه وعمله الذي يجزي عليه، ولهذا شرع لهم الدين المتضمن:

١- دلالتهم على الطاعات وترغيبهم فيها بذكر ثوابها العاجل والآجل.

٢- تنبيههم على السيئات وأنواع المخالفات، وتحذيرهم منها، وزجرهم عنها بذكر العقاب عليها في الدنيا والآخرة.

٣- وما سكت الله عنه فهو المباحات التي لا يترتب على مباشرتها ثواب، إلا إذا اقترنت بالنية الصالحة، ولا يعاقب عليها إلا بنية السوء.

ودلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على:

١- أن على العبد أن يتمثل أوامر الله جل وعز ما استطاع.

٢- أن يجتنب ما نهاه الله عنه مطلقًا.

٣- أن العبد لا يُؤاخذ بالخطأ والنسيان.

٤- وإذا أُكره فلا إثم عليه ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان.

٥- وما عجز عنه فلا يجب عليه بل يسقط، قال جل وعز: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٦- وأن العبد إنما يجزي على ما أراده وباشره بمحض اختياره من طاعة أو معصية، فمن أطاع فهو أهل للثواب، ومن عصى فهو محل للعقاب، ومن تاب فإن الله تعالى يتوب على من تاب.

ولهذا أخبر تعالى أنه خلق أعمال العباد لأنه سبحانه خلقهم وخلق فيهم الأسباب، أي: الإرادات والقدر التي تقع بها أعمالهم، وأضاف سبحانه أعمالهم إليهم ورتّب عيها الجزاء، لأنهم أرادوها وباشروها بمحض اختيارهم، ولهذا قال جل وعز: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]،

وقال جل وعز: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال جل وعز: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال جل وعز: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

ثامنًا: إثبات دوام إرادة الله جل وعز وفعله:

١- دلت النصوص القطعية من الكتاب والسُّنَّة على أن الله جل وعز كان وما زال ولن يزال متصفًا بالفعل حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كما قال جل وعز: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال جل وعز: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧]، فالقدر على الفعل أزلًا وحالًا وأبدًا من صفات كماله.

٢- والفعل من لوازم الحياة، والرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى حي حياة كاملة لم يسبقها عدم، ولا يعتريها نقص، ولا يعقبها فناء؛ بل هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فالفعل من لوازم الحياة وهو قيوميته بتدبير خلقه وملكه.

٣- وأفعال الله جل وعز كصفاته قائمة به، ولولا ذلك لم يكن فعالًا ولا موصوفًا بصفات الكمال، فإنه تعالى يفعل بإرادة ومشيئة، فإذا أراد فعل شيء فعله، فلا يمنعه مانعٌ، ولا يمتنع منه شيء.

وأفعاله تعالى نوعان:

أ- أفعالٌ لازمةٌ تتعلق بذاته كالاستواء والنزول والمجيء والإتيان ونحوها، فَتُثْبِتُ له سبحانه على الوجه اللائق بجلاله، كما أخبر عن نفسه، وأخبر عنه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو أعلم الخلق به، ولا يعلم كيفية ذلك إلا هو سبحانه.

ب- أفعال تتعلق بخلقه تتعدى إلى مفعول، مثل: خَلْق، رَزْق، هَدى، أَضل، وقد دلّت على ذلك النصوص الكثيرة التي لا تحصى، الدالة على أن هذه أفعال له حقيقة ليست مجازًا ولا كأفعال خلقه؛ بل هي أفعال تليق به، كقوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ** ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩]، قيل في تفسير ذلك: يجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويفك أسيرًا، ويلطف بوليه، ويحكم بعدله في عدوه(١)، وهكذا.

٤- ولأنه تعالى كما أخبر بذلك عن نفسه فقد ساقه مساق المدح والثناء بفعله على نفسه، وأن ذلك من كماله، فلا يجوز أن يكون سبحانه فاقدًا لكمال في وقت من الأوقات أو حال من الأحوال.

٥- وأَيْضًا فإن إرادته وفعله متلازمان، فما أراد أن يفعله

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٠٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٠).

فعلـه، ومـا فعلـه فقـد أراده، بخـلاف المخلـوق الـذي قـد يريـد ولا يفعـل، وقـد يفعـل مـا لا يريـد، فما ثَـمَّ فعّال لمـا يريـد إلا الله وحده.

٦- وإرادته تبارك وتعالى نوعان:

أ- إرادة متعلقـة بفعلـه هـو سـبحانه، فهذه بحسـب الأفعال، فـكل فعـل له إرادة تخصـه، فكمـا أن أفعاله متعددة فكذلـك إرادته متعددة.

ب- إرادة متعلقة بالعبد، وهذه أَيْضًا نوعان:

الأولـى: إرادة أن يجعـل العبـد فاعـلًا فيكـون كذلـك ولابد، لأن ذلـك متعلـق بـالإرادة الكونية.

الثانيـة: إرادة الفعـل مـن العبـد، وذلك قـد يتحقق مـن العبد وقـد لا يتحقـق، وذلك متعلـق بالإرادة الشـرعية.

تاسعًا: بيان المشيئة والإرادة:

لا يتـم الإيمان بالقـدر حتى يؤمن العبد بمشـيئة اللـه النافذة، وقدرتـه الشـاملة، وأن مـا شـاء اللـه كان، ومـا لـم يشـأ لـم يكـن، والمشـيئة والإرادة متقاربتـان فـي المعنـى، وكلاهمـا مـن صفـات الأفعـال، فاللـه تعالى لم يزل مريـدًا بإرادات متعاقبـة، فنوع الإرادة قديـم، وآحادها متجـددة، فيريد الشـيء المعين في وقتـه، قال جل وعـز: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [البقـرة: ٢٥٣]، وقـال جـل وعـز:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

إلا أن الإرادة إرادتان:

الأولى: إرادة كونية قدرية: تتعلق بما يريد أن يفعله هو سبحانه، فهذه ترادف المشيئة تمامًا في المعنى، وهي أن كل ما حدث ويحدث وما سيحدث في الملكوت عُلويِّه وسُفليِّه، وما بينهما، من حركة أو سكنة أو طاعة أو معصية أو خير أو شر أو وجود أو عدم؛ فكل ذلك واقع وحادث بإرادة الله الكونية، ومشيئته العامة، وله في ذلك الحكمة التامة والحجة البالغة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، لأن الملكَ مُلكه والخلق خلقه، وهو يدبر ملكه كما يشاء، لا رادَّ لحكمه، ولا معقب لقضائه.

ومن ميزات هذه الإرادة:

١- أنها متعلقة بفعله جل وعز.

٢- أنها كونية، أي: متعلقة بالخلق والتكوين.

٣- أن المراد بها لابد أن يقع.

٤- قد يكون المراد بها محبوبًا لله تعالى، وقد لا يكون محبوبًا.

الثانية: إرادة دينية شرعية: تتعلق بأمره ونهيه الشرعي الذي تعبّد به العباد، وهو ما يريد من العباد أن يفعلوه له سبحانه،

فكل ما شرعه فهو يحبه، فما أمر به فهو يحب من عباده فعله ما استطاعوا، وما نهى عنه فيحب من عباده تركه.

ومن ميزات هذه الإرادة:

١- أنها دينية شرعية.

٢- أنها متعلقة بأفعال العباد.

٣- أن المراد بها محبوب لله تعالى قطعًا.

٤- أن المراد بها قد يقع وقد لا يقع، لأنه محل ابتلاء المكلفين.

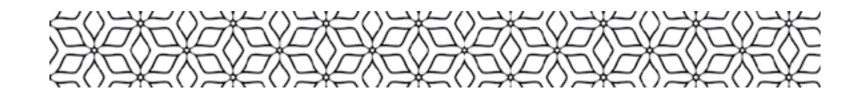
والمراد بهذه الإرادة نوعان:

١- مراد يحبه ويرضاه، ويمدح فاعله عليه ويواليه، وهو طاعته، فمن أطاعه كان أهلًا لثوابه.

٢- مراد يبغضه ويكرهه، ويذم فاعله ويعاديه، وهو معصيته، فمن عصى الله كان أهلًا لعقوبته، فإن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

ولا يكون من العباد في الحالين إلا ما سبق به علم الله وجرى به قلمه، ولكن الله غيّب القدر عنهم فلا يعلمون عنه حتى يقع ليباشروا أعمالهم بإرادتهم وقدراتهم، وابتلاهم ليظهر مرادهم واختيارهم الذي يستحقون الجزاء عليه فإنه هو كسبهم

واكتسابهم الذي اختاره بمحض إرادتهم من غير جبر عليه وسعوا إليه حريصين على تحقيقه من غير التفات منهم للقدر أو علم به، فالمطيع أراد الطاعة، والعاصي أراد المعصية، فكلاهما أراد وهو لا يدري هل يتحقق له المراد أم لا، وبهذا تظهر نتيجة الابتلاء، فيكون المحسنون مستحقين للثواب، والمسيئون مستحقين للعقاب، بموجب أعمالهم التي أرادوها وسعوا لها وباشروها، مختارين قاصدين غير عالمين بما سبق به القدر، فمريد الطاعة موفَّقٌ ينبغي له أن يلزمها ويشكر، ومريد المعصية موبق، واجبه أن يتوب ويستغفر، والإرادة والأعمال والأقوال هي التي تُكتب في صحف الأعمال، وهي محصاة معلومة لله تعالى، فيُجزون على ما في صحف الأعمال لا على ما سبق به علم ذي العظمة والجلال تبارك وتعالى.



شروط قبول العمل

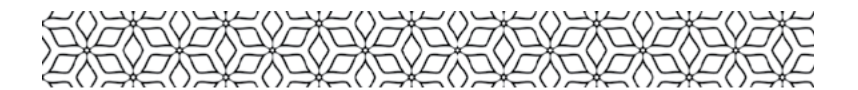
ونعتقد أن العمل لا يقبل إلا باجتماع أمور ثلاثة فيها.

الأول: أن يكون مما شرع الله أصله في كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا تحقيق الرضا بالإسلام دينًا.

الثاني: أن يؤدي مقصودًا به وجه الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا تحقيق الرضا بالله ربًا.

الثالث: أن يكون في كيفيته متبعًا به المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا تحقيق الرضا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا ورسولا.

فمن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا، ورسولًا ثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكان حقًا على الله أن يرضيه.



أصحاب محمد ﷺ

ونقر بالفضل لأصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاءت به النصوص من فضائلهم لما لهم من السبق للإسلام والهجرة، والإيواء، والنصر، ومفارقة الأهل، والأوطان وبذلك الأنفس والأموال من أجل مرضات ربهم ونصرة دين نبيهم، وهم أعلم الأمة بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم حضروا التنزيل، وشاهدوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعملوا بحضرته.

فما وافق ما جاء به أقرهم عليه، وما خالفه أنكره عليه، ودلهم على الصواب بشأنه.

فكل عقيدة أو عبادة لم يكونوا عليها، فليست من دين الله، والخير كله في اتباعه، والشر كله في مخالفتهم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال جَلَّ وَعَلَا أَيْضًا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وحيث أنهم أعلم الأمة بدين الله، وأشدهم تمسكًا به، وعداوة لمن خالفهم، وهم خلفاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته.

فقد زكاهم الله، وأثنى عليهم بجميل الصفات، وجليل الأعمال الصالحات، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢] وأخبر برضاه عنهم ووعدهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم، وأصناف التكريم، وبالمقابل حذر من سبهم والطعن فيهم، وبَيَّن أن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين، ولا يصدر عن المسلمين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

فمن كان في قلبه غلٌّ على أحد منهم، أو وقع في سب أحد منهم؛ فليس من التابعين للمهاجرين، والأنصار بإحسان؛ وليس من اللاحقين الداعين بالمغفرة، والرحمة للسلف الماضين؛ بل هو من المعاندين الفجار.

قال جل وعز: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] فلا يبغض أصحاب النبي صَلَّى

اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ولا يغتـاظ منهـم إلا مـن ظاهـره الكفـر، كما في الآيـة، نعـوذ باللـه مـن الخذلان.

ونتبـرأ ممـن سـبهم رضي اللـه عنهم، أو شـتمهم ومن سـب أم المؤمنيـن؛ فليسـت بـأم له، وليس مـن أخـوة المؤمنين.

ونرتـب الخلفـاء الراشـدين المهدييـن الأربعـة فـي الفضـل علـى ترتيبهم فـي الخلافة، وهـذا الذي اسـتقر عليه اتفاق السـلف الصالـح، أبـو بكـر فعمر فعثمـان فعلي رضـي الله عنهـم أجمعين.

ونعتقـد أن اتفاقهـم فـي مسـائل الديـن حجـة قاطعـة، واختلافهـم رحمـة واسـعة.

ونديـن بمعنـى مـا يـروى عـن المعصـوم صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «أصحابـي كالنجـوم»[١]، وكذلـك مـا ثبـت عنـه صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «لا تسـبوا أصحابـي»[٢] وكذلـك بقولـه صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «عليكـم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين من بعـدي..»[٣] الحديـث.

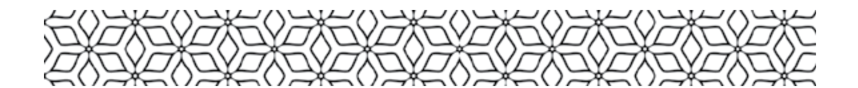
ونعتقـد أنهـم رضـي اللـه عنهـم أهـل الإيمـان، وخيـر أتباع الأنبيـاء والمرسـلين على الإطـلاق، وأفضل قرون الأمـة بالاتفاق.

---

(١) رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٦٦)، وابن بطة في الإبانة برقم (٧٠٢).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤٠).
(٣) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقم (١٧١٤٤).

فمن لعنهم أو سبهم أو كَفَّرهم فإنها ترجع عليه لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يرمي رجل رجلًا بالفسق، أو الكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»[١].

(١) رواه البخاري برقم (٦٠٤٥)، ومسلم برقم (٦١).



وأخيرًا: التوبة إلى الله جَلَّ وَعَلَا

ونعتقد أن التوبة النصوح من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها مقبولة من كل عبد مكلف ما لم تبلغ الروح الحلقوم في حق الشخص أو تطلع الشمس من مغربها في حق الزمن.

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٨] وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١)، وفي الحديث: «حتى تطلع الشمس من مغربها»(٢).

ومن حضره الموت ولم يتب فهو ظالم لنفسه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

إذا علم هذا فليعلم أن لهذا الظالم لنفسه إذا مات على

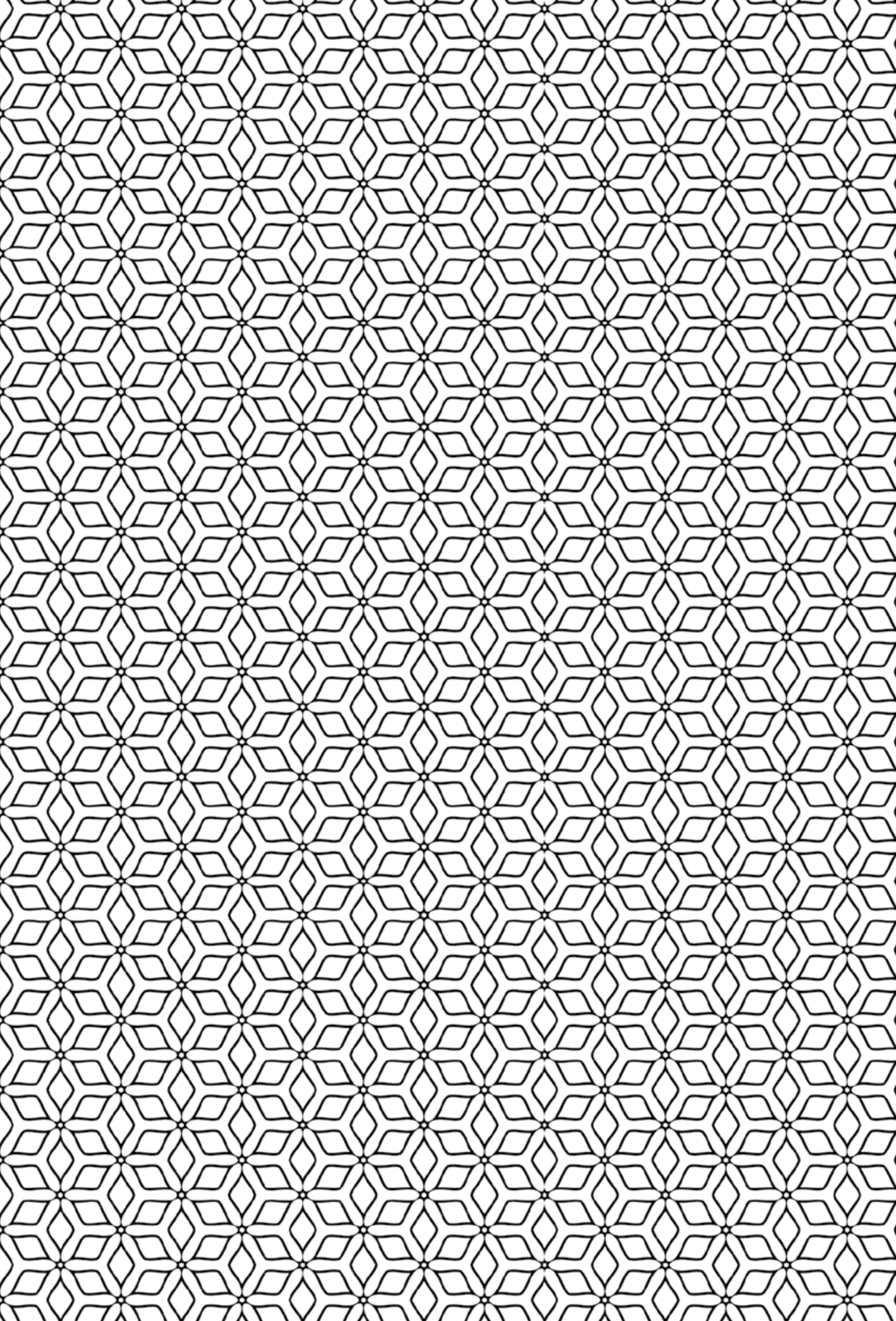
(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٣٧)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٣)، وأحمد برقم (٦١٦٠).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩).

ذنوبه من غير توبة أحوال:

أ- فإن كانت ذنوبه من الصغائر فيرجى أن يكفر ذلك بصالح الأعمال كالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والصلة ونحوها مما جاء به الخبر أنه تغفر به الخطايا وتكفر به الذنوب.

ب- وإن كانت ذنوبه من الكبائر التي دون الشرك كالقتل، والزنا، والربا، والرشوة، والغيبة، والنميمة، ونحوها من غير استحلال لها؛ فهو تحت مشيئة الله إن شاء عفر له، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه، ثم يكون مآله إلى الجنة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ج- وإن كانت الذنوب من المكفرات المخرجة من الملة كالشرك الأكبر، واستحلال ما عُلِمَ بالضرورة من الشرع تحريمه، وجحد ما عَلِمَ من الشرع وجوبه، والسحر، والاستهزاء بالله، ورسوله، ودينه، ونحو ذلك فهذه ذنوب مُكَفِّرة تحبط العمل وتمنع مغفرة الله جَلَّ وَعَلَا، وتحرم الجنة على من وقعت منه ولم يتب، ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].





الخاتمة

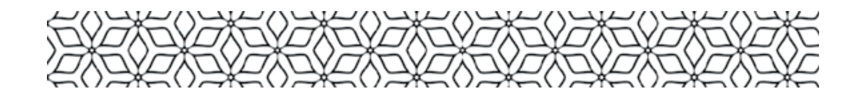
وفي الختام:

هـذه رسـالة لطيفـةُ فـي أصـول الإيمـان فـي ضـوء الكتـاب والسـنة، جمعتها لنفسـي ولكل مسـلم ومسـلمة، عسـاها أن تكون بالغـرض وافيـة، وبالدليـل كافيـة، كتـب الله لهـا القبـول، وجعلها مـن الأعمـال الصالحـة للعبـد بعـد موته.

وقـد عرضـت أصلهـا علـى علمـاء كثـر، وأفادونـي خيـرًا عظيمًـا، ثـم عرضتهـا فـي عرضتهـا الأخيـرة، علـى شـيخنا الإمام العلامـة عبـد اللـه بن صالـح القصّيـر، فأقرهـا، وزادني مـن إملاءه خيـرًا كثيـرًا، وقـد ضمنتهـا أصـل المتـن، وزدت فيهـا شـيئًا ممـا وجهنـي بـه، جعـل اللـه ذلـك فـي ميـزان الصالحـات، وغفـر لنـا ولوالدينـا ولمشـايخنا وولاة أمرنا، وفـق الله الجميـع لصلاح النية والعمـل.

وصلـى اللـه وسـلم علـى نبينـا محمـد بـن عبـد اللـه وآلـه وصحبـه ومـن والاه، والحمـد للـه أولاً وأخيـرًا.

تمت مراجعةً وتحريرًا لأصلها في
١٢/ ١/ ١٤٢١ هـ
في رياض نجد
وتمت زيادتها وتحريرها وتتميم فوائدها في
٢١/ ٥/ ١٤٤٠ هـ
على متن الطائرة متجهًا إلى نجران عمرها الله بالتوحيد



فهرس الموضوعات

لقد وفق الله أهل الحق للتوسط في الدين بين الفرق الغالية، والجافية، فهداهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وهذه الرسالة على اسمها تبين معتقد أهل الحق من آل بيت النبي والصحابة والتابعين لهم بإحسان أدعو إليها كل ناصح لنفسه.

فهي دعوة إلى سلوك الصراط المستقيم. فالشكر لله على توفيقه والحمد لله على تيسيره؛ علمًا أنني سردت في هذه الرسالة معتقدي في أركان الإيمان بأسهل عبارة، وأوجز إشارة قارنًا بالدليل ما استطعت.

جعلها الله في ميزان الصالحات لنا وله ولكل من طالع هذه الأصول الجامعة، والحمد لله أولاً وآخرًا..





   @daradahriah  dar adahriah

 www.daradahriah.com daradahriah@gmail.com

